الله

مِنْ كَلَامِ العَارِفِينَ

العدد الرابع

مُقَدِّمَة

بإذن من سيدي الحاج الحبيب بن حامد رضي الله عنه قام بعض تلاميذه بكتابة هذا التأليف استنادا لما تم تسجيله وجمعه ونقله من العامية إلى الفصحى من دروسه التربوية وكلماته ورسائله العرفانية والله من وراء القصد.

كل الحقوق محفوظة

الزاوية التجانية باب الخضراء ©

تمهيد

بسم الله والحمد لله والصّلاة على رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: " **لاَ بَأْسَ بِالحَدِيثِ قَدَّمْتَ فِيهِ أَوْ أخَّرْتَ، إِذَا أَصَبْتَ مَعْنَاهُ**"

الجامع الصغير رقم 9706

قال سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه: "...وأرغب لمن طالع مكتوبنا هذا أن يغضّ عنه عين الانتقاد ويسمح لنا ما يلقاه من التّصحيف والتّحريف والزّيادة والتّطفيف ويصلح ما وجد فيه من الخلل ويقابل جهلنا بالصّفح والإغضاء وحسن العمل فإنّا لسنا من أهل العلم ودرايته ولا من أهل النّحو وصناعته وإنّما حملنا على ذلك شدّة حبّنا في أهل هذا الجناب وتعلّقنا بهؤلاء الأحباب ومن أقام لنفسه عذرا سقط عنه اللّوم" ...

من مقدمة كتاب

جواهر المعاني وبلوغ الأماني

في فيض سيدي أبي العباس التجاني

نسخة من خط سيدي الحاج الأحسن البعقيلي وفيها الإجازة الأولى التي بعث بها لسيدي محمد القماري رضي الله عن الجميع

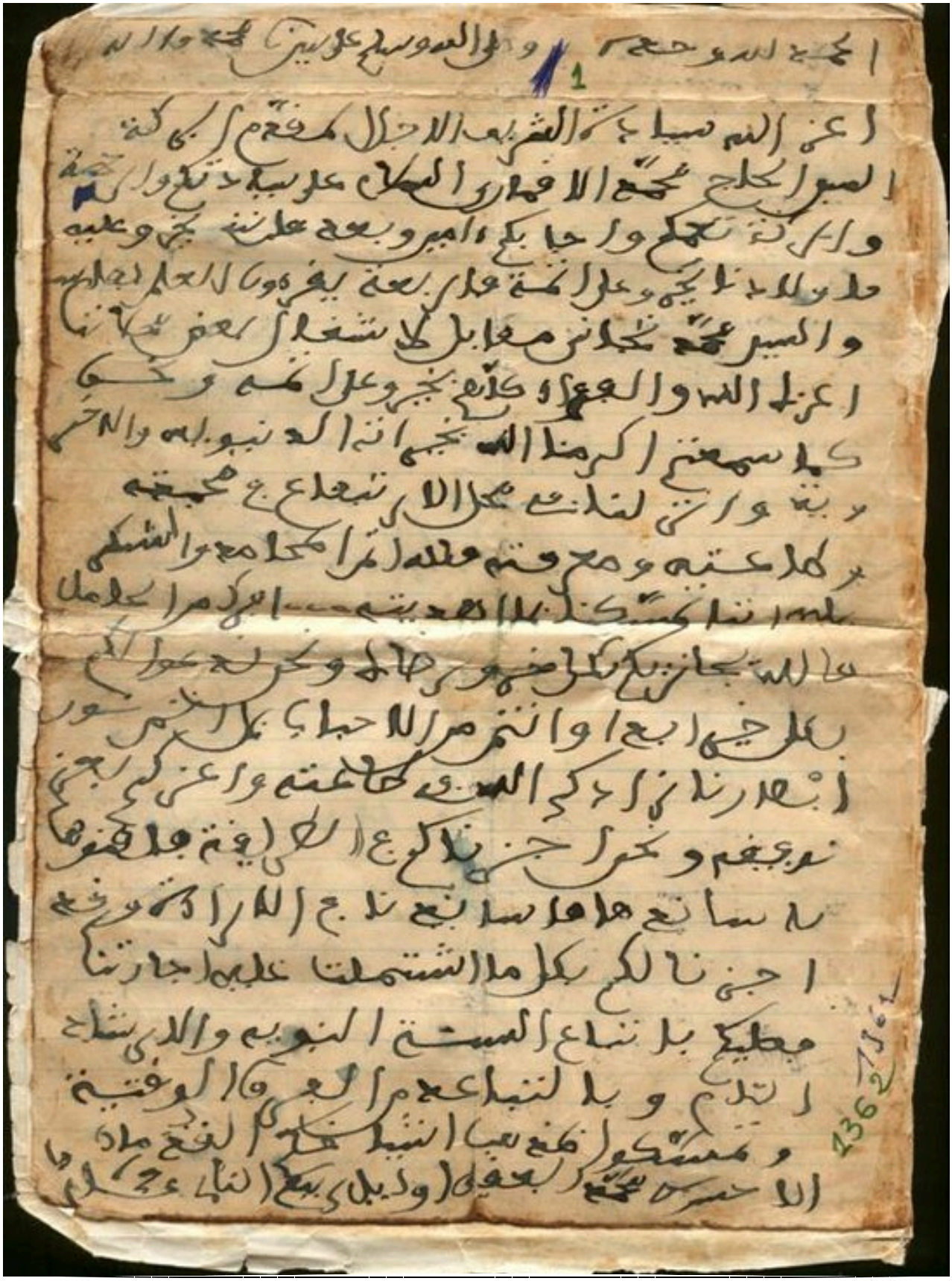

الإجازة رقم 1

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله في تاريخ خامس صفر عـام 1352

الحمد لله وحده أعز الله سيادة الأعز الأبرك المقدم الأبر السيد الحاج محمد بن ابراهيم الأقماري السلام عليكم والرحمه والبركه وبعد فالله الكريم يفيض عليكم خير الدنيا والآخرة ويوصلكم إلى منتهى العارفين وذروة المقربين آمين يليه أن حالنا على أتم الأحوال فالله تعالى يرتضيها فلله الحمد والمنه أعظم الله علينا نعمه ظاهرة وباطنه وأعظمها الشكر والسيد محمد الكبير يقرأ العلم مفتوح له فيه والسيد محمد الكبير جامع للقرآن والبنون والبنات حافظون للقرآن الكريم ونساؤنا بخير كأحبابنا وأنت واحد من أولادنا فقرّ به عينا و لا تظن غيره وقد وصلنا

أخونا علي رسولك بهانه ريال وعنبر وتسابيح هديه لنا ولولدنا فهي مقبوله بغايه ربانيه مصحوبه بعز معها والمطبعه بخير وأحوالنا كلها كما تحبها ونحن ندعوا لكم بخير والسيد عبد الله أخوكم بخير عند البروزي له أولاد والسيد محمد نسمع عليه خيرا وأحوال البلد بخير في أمان ورفاهيه دينا ودنيا لا تنشوش وقد اشتقنا لرؤيتكم فبأحبابكم هنا كلها بخير والسيد محمد الحبيبه ابن شيخنا برباط الفتح في مدرسه جسوس خادما معه والسيد محمد بن المولى علال نازل عندنا حالته بخير ولازالته الخيرات تنصب علينا كالأمطار فلله الحمد علما وطريقة و حقيقه فأخبركم على عادة الأحباب فأنتم أولاد الروح وقد أجزنا لكم في مروياتنا في الطريقه وغيره فالله يحفظكم آمين

الحاج الأحسن بن محمد ابن أبي جماعه البعقيلي السوسي .

البيضاوي بدرب خلف الدار البيضاء

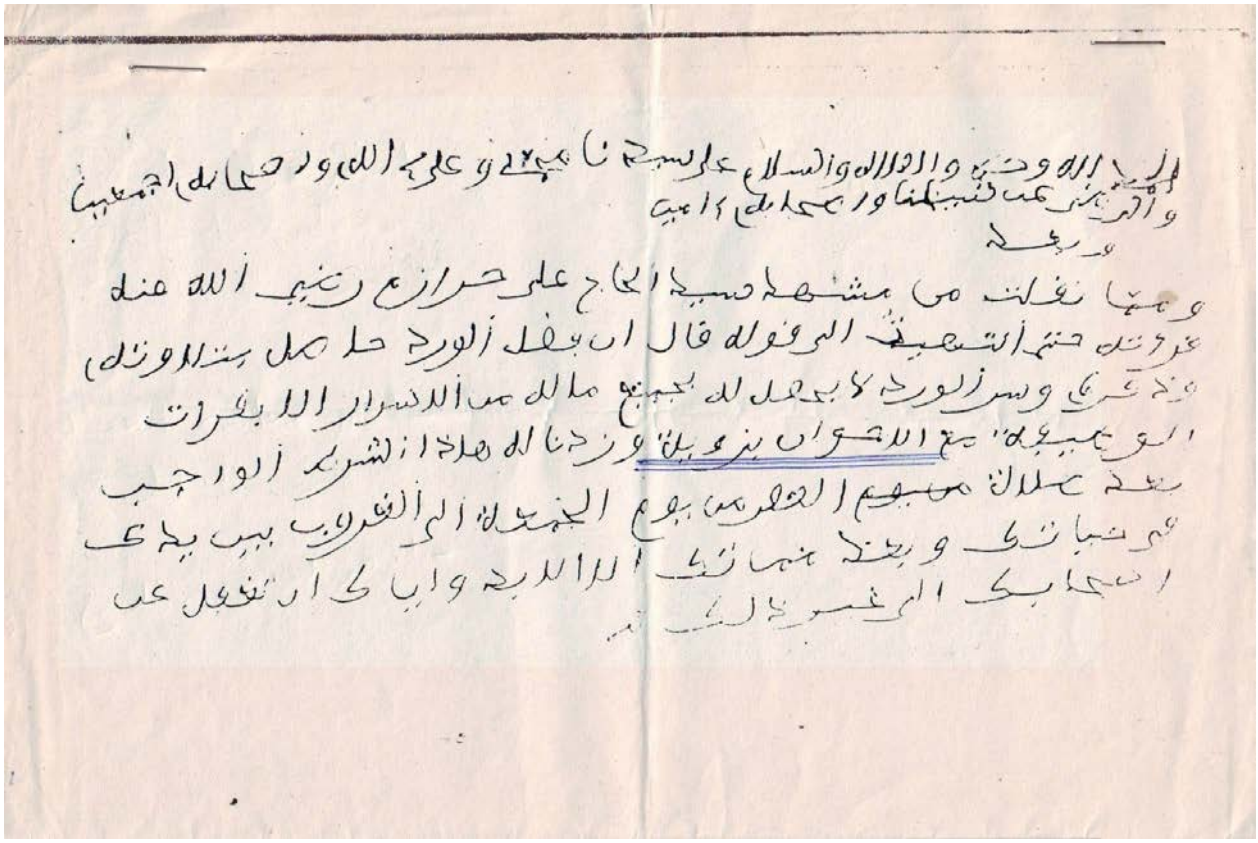

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والرضى عن شيخنا والصحابة أجمعين

وبعد، وممّا نقلت من مشاهد سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه قرأته حتى انتهيت إلى قوله قال إن فضل الورد حاصل بتلاوته وذكره وسر الورد لا يحصل له بجميع ما له من الأسرار إلا بقراءة الوظيفة مع الإخوان بالزاوية وزدنا له هذا الشرط الواجب بعد صلاة العصر من يوم الجمعة إلى الغروب بين يدي في حياتك وبعد مماتك إلى الأبد وإياك أن تغفل عن أصحابك إلى غير ذلك ...

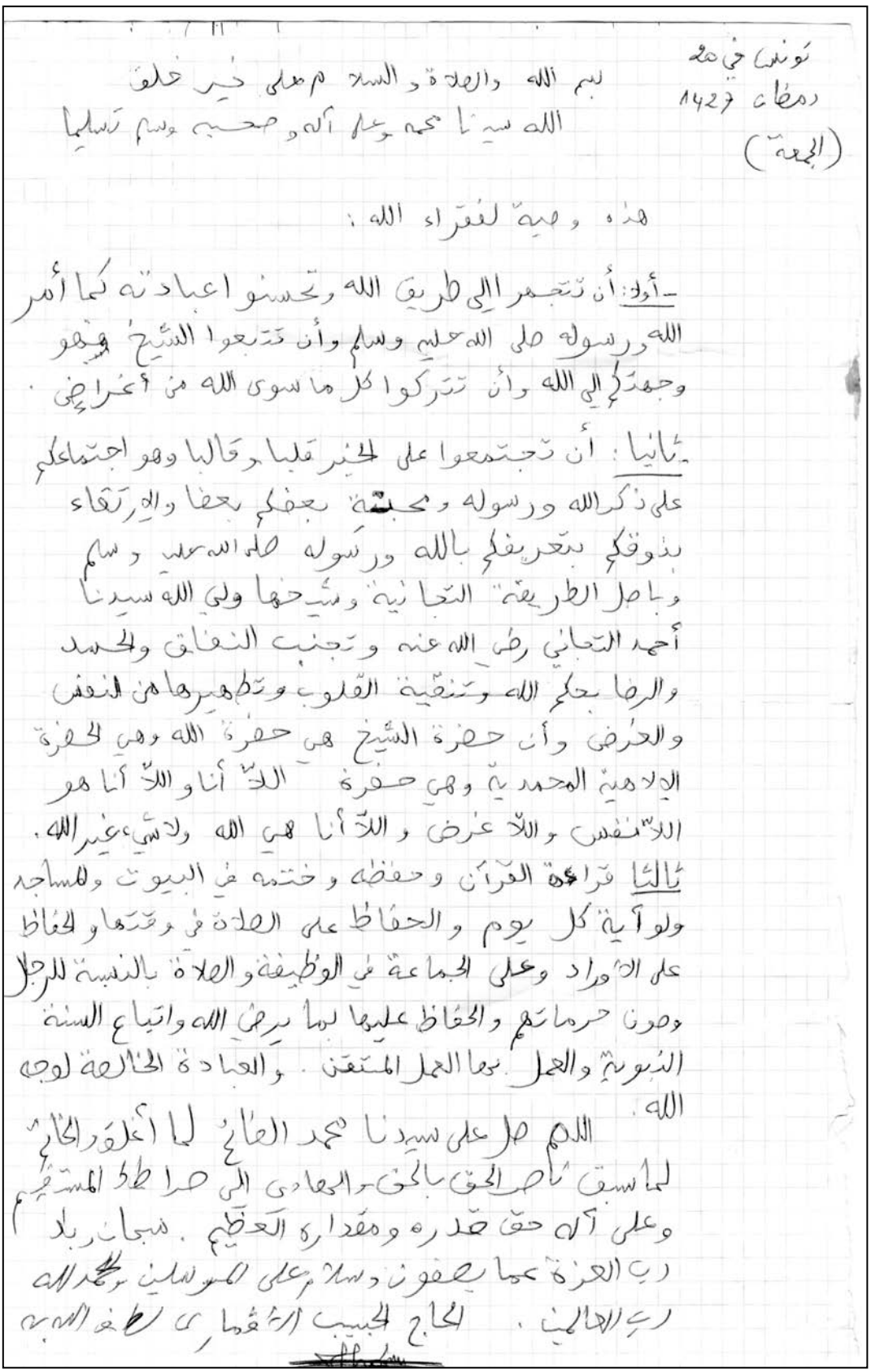

تونس في ٥ رمضان 1427 (الجمعة)

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

هذه وصية لفقراء الله:

-أولا: أن تتجمروا إلى طريق الله وتحسنوا عبادته كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تتبعوا الشيخ وهو وجهتكم إلى الله وأن تتركوا كل ما سوى الله من أغراض.

-ثانيا: أن تجتمعوا على الخير قلبا وقالبا وهو اجتماعكم على ذكر الله ورسوله ومحبة بعضكم بعضا والارتقاء بذوقكم بتعريفكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وباصل الطريقة التجانية وشيخها ولي الله سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه وتجنب النفاق والحسد والرضا بحكم الله وتنقية القلوب وتطهيرها من النفس والعرض وأن حضرة الشيخ هي حضرة الله وهي الحضرة الإلهية المحمدية وهي حضرة اللا أنا واللا أنا هو اللا نفس واللا غرض واللا أنا هي الله ولا شيء غير الله.

-ثالثا قراءة القرآن وحفظه وختمه في البيوت والمساجد ولو آية كل يوم والحفاظ على الصلاة في وقتها والحفاظ على الأوراد وعلى الجماعة في الوظيفة والصلاة بالنسبة للرجل ودون حرماتهم والحفاظ عليها بما يرضي الله واتباع السنة النبوية والعمل بها العمل المتقن. والعبادة الخالصة لوجه الله.

اللهم صل على سيدنا محمد الخاتم لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. الحاج الحبيب الشماري خادم الطريقة

تونس في 20 رمضان 1427 (الجمعة)

بسم الله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . هذه وصية لفقراء الله:

- أولا : أن تتجهوا إلى طريق الله وتحسنوا عبادته كما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تتبعوا الشيخ فهو وجهتكم إلى الله وأن تتركوا كل ما سوى الله من أغراض

- ثانيا : أن تجتمعوا على الخير قلبا وقالبا وهو اجتماعكم على ذكر الله ورسوله ومحبة بعضكم بعضا والارتقاء بذوقكم بتعريفكم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبأصل الطريقة التجانية وشيخها ولي الله سيدنا أحمد التجاني وتجنب النفاق.

والحمد والرضا بحكم الله وتنقية القلوب وتطهيرها من النفس والغرض وأن حضرة الشيخ هي حضرة الله وهي الحضرة الإلاهية المحمدية وهي حضرة اللا أنا واللا أنا هو اللا نفس واللا غرض، واللاّ أنا هي الله ولا شيء غير الله.

- ثالثا : قراءة القرآن وحفظه في البيوت والمساجد ولو آية كل يوم والحفاظ على الصلاة في وقتها والحفاظ على الأوراد وعلى الجماعة في الوظيفة والصلاة بالنسبة للرجال وصون حرماتهم والحفاظ عليها بما يرضي الله واتباع السنة النبوية والعمل بها العمل المتقن والعبادة الخالصة لوجه الله

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الحاج الحبيب الأقماري لطف الله به

فهرس الجزء الرابع من سلسلة: (مِنْ كَلاَمِ العَارِفِينَ)

عنوان الدرس	الصفحة
الإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ	10
الوِلاَيَةُ لَيْسَتْ كَسْبًا	23
مَنْ حَصَّلَ هَذَا وَوَصَّلَهُ فَلاَ تَبِعَةَ لَهُ عَلَيْنَا فِي العِلْمِ	36
التَّأَدُّبُ وَالعِلْمُ	50
سَلِيمُ الفِطْرَةِ لاَ يَعْرِفُ إِلاَّ اللهَ	58
رِسَالَةٌ سَيِّدِي الحَاجْ الأَحْسَنْ إِلَى العَارِفِ التَّـنَانِيّ	66
الزَّاوِيَةُ أَمْرُهَا قَائِمٌ بِاللهِ	77
مِنَ الفِقْهِ المَالِكِيِّ (1)	80
وَلَوْ عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَمِلُوا	97
مِنَ الفِقْهِ المَالِكِيِّ (2)	101
قَوَاعِدُ فُنُونِ العِلْمِ	107

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ

البيان: قال صاحبه بعد بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما:

ما هو السبيل والحلّ الجذري لفكّ وحلّ عقدة الإصرار على الذّنوب حيث أنّ هذا الأمر هو باب مقام التّوبة أوّل مقامات الإسلام فمن لم يفكّ عقدة الإصرار فإنّه لم يضع رجله على أوّل خطوة في السّلوك إلى الله تعالى إلخ ...، فأفيدوني برأيكم.

فهذا شخصٌ يتحدّث عن نفسه أو عن غيره فأشار بأنّه فقير الشّيخ رضي الله عنه لكنّه بقي مصرّا على ذنب من الذّنوب ولم يستطع أن يتحرّر من هذا الذّنب، فلمّا قرأ كتب الطّريقة وجد أنّ أوّل قدم يضعها المريد في الطريق هي التّوبة والإقلاع وعدم الإصرار على الذّنب، لكنّه لم يستطع ذلك، بل بقي مصرّا على ذنبه، فبعث برسالة يسأل فيها عن هذا الإشكال، وكيف يكون العمل؟، مع العلم وأنّه كما قلنا فقير الشيخ رضي الله عنه.

سيدي خالد محمّد القمار رضي الله عنه: عندما قال ﷺ "**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**"[1] فالمراد منه أن لا ينوي العبد مسبقا فعل المعاصي والذّنوب ثمّ إذا وقع المحظور بعد ذلك فالله غفور رحيم، وقد وجدتُ ما يؤكّد هذا

[1] أخرجه أبو داوود في سننه كتاب الصلاة الباب رقم 361 في الاستغفار الحديث رقم 1514: عن مولى لأبي بكر الصديق، عن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة**".

في كنّاش الوالد سيدي محمّد القمار ﵁ حيث يقول في ما معناه: على الواحد منّا أن لا يحقر أحدا من هذه الأمّة، أمّة مذنبة وربّ غفور، وقد غفر الله لها من قبل أن تخلق...

فقير: سيدي، إن الفقراء من حيث مراتبهم الباطنيّة من أكمل العارفين وإن تلبّست ظواهرهم بالمعاصي ...

البيان: والأخ الّذي بعث بالرسالة حين قال: "فمن لم يفكّ عقدة الإصرار فإنّه لم يضع رجله على أوّل خطوة في السلوك إلى الله تعالى" فإنّما كان تساؤله نابعا من حيرته في كونه فقير الشيخ سيّدي أحمد التّجاني ﵁ وفي ذات الوقت لم يقلع عن فعل المعاصي، فهو لا يحبّ فعل المعاصي ولكنّه يفعلها، فاحتار في أمره وبعث لنا بهذه الرسالة عبر الأنترنات ...

سيدي خالد محمّد القمار ﵁: على كلّ حال فالله هو الفاعل حقيقة

البيان: وهذا هو أصل القضيّة، وهذا هو لبّ الموضوع ككلّ، وإنّما أردت، وأعوذ بالله من كلمة أنا، أن أشرككم في هذا الأمر، لأنّه إذا ما وضع أمامي سؤال كهذا فأراني أقول: لو أجاب عنه علماء الظّاهر لكان هناك حديث مطوّل في هذا الشأن، ولو كان الأمر خاصّا بالفقراء فهذا هو الردّ ...

فقير: الفقراء كلّهم لهم مراتب عالية، وسيدي الحاج القمار ﵁ قال فيما معناه: "لو علمتم ما أعدّ الله لكم بعد كلّ وظيفة، لخرج الواحد منكم إلى حيث لا يراه النّاس، ولتمرّغ بالتراب كما يتمرّغ الجمل"، ولهذا يضع الله ﷻ الفقير في بعض المخالفات الشّرعيّة، لا لشيء إلاّ ليظلّ في احتقار دائم لنفسه، وليدخل على ربّه وهو منكسر متذلّل، وهو في مقامه المعلوم ذاك، وهذه هي العبوديّة، وكثير من أصحاب الشيخ سيّدي أحمد التّجاني ﵁ كانوا يشكون إليه هذا الأمر فكان

ينصحهم بتقليل الطعام، وقال ﷺ في ما معناه: "لا يستقيم أحدكم حتّى يستقيم لسانه ولا يستقيم لسانه حتّى تضبط جوارحه، ولا تضبط جوارح أحدكم حتّى تضبط بطنه"[2] ...

البيان: وقد تحدّث سيدي الحاج الأحسن ﷺ عن هذه النّقطة بالذّات فقال في ما معناه: لا يتنوّر الباطن إلاّ بالجوع، أو أن يأكل وينوي في فعله نور الله ونور الأسماء، فلا يأكل نعمةً وإنّما يأكل تعبّدًا لله، فمن أكل تعبّدا لله فإنّه يقوّيه، إن استطاعه طبعا، فإن لم يستطعه فعليه بالجوع وكثرة الصّمت، ومن يبيت مذنبا ويصبح تائبا نادما خيرٌ ممّن يبيت على طاعة ويصبح راضيا عن نفسه ...

فقير: إذن فهذا هو الجواب على السؤال؟ ...

البيان: ما دام قد أعجبك وأعجبني وأعجبهم كلّهم، فهذا هو الجواب ...

فقير: عندما يكون الفقير مع جملة الفقراء فإنّه يكون في أفضل حالاته، وإذا ما بعد عنهم فإنّه يصطدم بالواقع وبالظاهر، فكأنّ الشياطين، والعياذ بالله، تنتظره لتهجم عليه دفعة واحدة ...

البيان: فعلا هذا موجود، فإنّ إبليس لعنه الله يبعث بأقوى جنوده إلى النّاس الّذين هم كسيادتكم، وهؤلاء الجنود هم الّذين يتعبون النّاس لا لشيء إلاّ لأنّهم يقولون "لا إله إلاّ الله" ويصلّون على النّبيّ ﷺ، وفي الحديث الشريف: "**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**"، فهنا السّؤال عن الإصرار يُجاب عنه بحديث "**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**"، وإن عاد وعاد وعاد سبعين مرّة، فإنّه لم يصرّ على الذّنب ما دام الله ﷻ يوفّقه باستمرار إلى

[2] عن أبي هريرة ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ قال: "**إذا أقلّ الرجل الطعم ملء جوفه نورا**". أخرجه الديلمي في مسند الفردوس. الجامع الصغير 469.

الاستغفار، وقوله ﷺ "**لاَ كَبِيرَةَ مَعَ الاِسْتِغْفَارِ وَلاَ صَغِيرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ**[3]" فهذا بين المقامين، الخوف والرّجاء ...

فقير: سيدي، ننصح أخانا بأن يجتهد قليلا مع نفسه، لقوله ﷺ: "**إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**[4]"، وأمّا في ما يخصّ الطّاعة فإنّ على الإنسان أن يتدرّب عليها لأنّها لا تكون بين يوم وليلة، وكما قال سيّدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيما معناه: إن لم تسأل نفسك الطاعة فستسألك المعصية، فعلى الإنسان أن يداوم على فعل الطّاعات، فيجعل لنفسه نصيبا يوميّا منها، كالإكثار من الصّلاة على النّبيّ ﷺ، فالله ﷻ قال: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[5]، ولم يقل إنّ السيئات يذهبن الحسنات، ولهذا فليجتهد الإنسان قليلا حتى يبتعد عن هذه المعاصي قليلا فقليلا ...

البيان: وهذا باب التّربية، وهو باب آخر، أي باب الإرشاد لمثل هؤلاء، فما تحدَّثْنا فيه في البداية إنّما هو حقيقة الأمر بالنسبة لإنسان يعصي الله وهو لا يحب أن يفعل ذلك، ثمّ يعود إلى ذلك مرارا وتكرارا، فما قيل إنّما هو عين الحقيقة، وهو تحقيق المقال في ذلك الشيء، وأمّا ما قلتموه سيادتكم الآن، فهو باب الإرشاد، وهو خاصّ بمن يرشد النّاس بأن يكون له من الله تعالى إلهام، وله في طريقة أشياخه في التربية أذواق وأذواق، فتارة يبرز ما عليه الأمر حقيقةً، وتارة يبرز ما عليه الأمر شريعةً، فيفصل الحقيقة عن الشريعة تربيةً وسياسةً ربّانيةً بحسب ما يجده في قلبه وبحسب ما يجده من استعداد ذلك القلب الّذي يقابله، وهذا يرجع إلى عمل ورأي ونظر المربّي في الطريقة وهو بإلهام ربّاني، وأمّا تحقيق الأمر فيه فهو يرجع إلى ما قيل

---

[3] للديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس. حديث ضعيف

[4] أصل الحديث: " **إنّما العلم بالتّعلّم وإنّما الحلم بالتّحلّم ومن يتحرّ الخير يعطه، ومن يتّق الشرّ يوقه**". للدارقطني في الإفراد وللخطيب في التاريخ عن أبي هريرة (ر)، وللخطيب في التاريخ عن أبي الدرداء (ر). الجامع الصغير رقم 2577.

[5] سورة هود الآية 114.

منذ حين، وهو كلام سيدي الحاج القمار ﵁ وأرضاه، وهو لبّ هذه الأقوال، وهي "زلازل" لا توجد إلاّ في جواهر المعاني

سيدي خالد القمار ﵁: في بعض المرات، وعندما كنت في جامع الزيتونة مع بعض الفقراء، وبينما كنّا نتجاذب أطراف الحديث عن الشيخ سيّدي أحمد التّجاني ﵁، وصلنا إلى قوله: "أصحابك أصحابي وفقراءك فقرائي ..." قال بعض الفقراء: "إنّما أصحاب الشيخ هم فقط الّذين عاشوا معه في زمانه"، أي أنّهم وقّفوا كلمة "أصحاب الشيخ" على الأصحاب الّذين كانوا معه، وحين رجوعي إلى البيت مباشرة سألت عنها الوالد سيدي الحاج القمار ﵁، فقال ﵁: "كلّهم أصحابه، من زمان سيدي أحمد التّجاني ﵁ إلى قيام الساعة" [6] ...

البيان: ولهذا نعود دائما وأبدا لكلام سيدي الحاج القمار ﵁، وإذا قلنا سيدي الحاج القمار ﵁، فنحن نعني سندنا كلّه، لأنّه متلاصق كلّه بعضه في بعض، وبازدياد الخيرات فيه، فنجد فيه نظرة عميقة للغاية، وهي دائرة التّوسيع في الطريقة، وهذا هو الفهم لخاص به ﵁، فلو قصدت غيره وتحدّثت عن فقير عاصٍ، فربّما تجد كلاما مأخوذا من ظاهر الشّريعة فقط، فسيحكم على ذلك الرّجل بأحكام الشريعة، وربّما يقال لك: "هو خارج عن الطريقة أصلا"، على سبيل المثال، وأمّا الشيخ سيدي الحاج القمار ﵁ فهو نوع آخر تماما، فمن فَهِمَ بعض هذه الكلمات فهو إنّما دخل في بحر جديد من المعرفة بالله تعالى، فتُفتح له بعده أبواب، وهذا مهمّ جدّا، فإن قال ﵁ مثلا: "كلّ مريدي الشيخ التّجاني هم أصحابه"، فهو يعني ما يقول، وإن كان عدد التلاميذ وعدد الفقراء كبيرا جدّا وعدد الأصحاب قليلا، لكنّ التعميم فيه معرفة أخرى وباب آخر من المعرفة بالله تعالى، وهذا من العلم، فمراتب الحقّ ﷻ إذا ما رجعت بها إلى الأصل، فلا يوجد إلاّ الله،

[6] أصل الكلمة بالعامية قوله (ر): "كلهم أصحابه، من سيدي حمد حتى لين توفى الدنيا" والله أعلم.

لا إله إلاّ الله، أي ليس من موجود إلاّ الله ﷻ، فهل نحن متّفقون في هذا؟!، فلا موجود بحقّ وعلى الحقيقة إلاّ الله، إذن فكلّ ما سوى الله هو مخلوق خلقه الله ﷻ، وبعثه، وتجلّى فيه، فصار ذلك الشيء الّذي خلقه هو بذاته مرتبة من مراتب الحقّ ﷻ، فيقول عنه العارفون أنّه تجلٍّ من تجلّيات أسماء الله، فمثلا نحن الآن بماذا نتكلّم؟، وأنا بماذا أتكلّم؟، أنا حقيقة غير موجود وإنّما أنا ظلٌّ فقط، فالله بصدد التجلّي في رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يتجلّى في الشيخ رضي الله عنه، والأسماء الإلهيّة كالرّحمان والمحيي والقيّوم والعالِم تصبح هنا كالتيّار، إذن فهذا كلّه هو تجلّي المولى ﷻ في المخلوقات الّتي خلقها والّتي –حقيقةً– هي غير موجودة باعتبار أنّه ما من موجود إلاّ الله ﷻ، ففي البداية كان الله وحده ﷻ[7]، ثمّ لما أراد ﷻ أن يُعرف[8] خلق الحقيقة الأحمديّة، وقد خلقها ﷻ منه هو، أي أنّه قبض قبضة من نوره وقال لها: "كوني محمّدا"، وبعد أن خلقها وضعها في محراب القدس ومحراب الأنس إلخ، فأصبحت تعبده، وفي الحقيقة هو وحده ﷻ وليس هنالك موجود غيره، وبعد خلق هذا الشيء الّذي أصبح يحمده ويعبده، خلق منه حقيقة أخرى اسمها الحقيقة المحمّديّة، وهو سيّدنا محمّد ﷺ مُجْمَلاً دون تفصيل، وجعل فيه كلّ المخلوقات، وقال له في ما معناه: "قد سبق في علمي أنّك خير من يعبدني، فمنك سيخرج كلّ مخلوق"، وبالتّالي فليس هنالك مراتب إلاّ الحقّ ﷻ، ولكي يعرف النّاس أنّ الله هو من خلقهم يتنزّل لهم ﷻ في تنزّلات مختلفة ويظهر لهم في مظاهر متنوّعة، ولسان حال الحقّ ﷻ يقول لهم: "هذه علامات وجودي"، كمثال النّور الّذي هو دليل على وجود الشمس، فلسان حاله ﷻ يقول: "انظروا إلى هذه الشمس الّتي خلقتها لكم"، فالله هو الظّاهر وهو الباطن، وعسى أن لا نكون قد ابتعدنا كثيرا عن

---

[7] رواه البخاريّ وابن الجارود والبيهقي من حديث عمران بن الحصين قال: أتى أناسٌ من أهل اليمنِ إلى رسول الله (ص) فقالوا: يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين فأنبئنا عن بَدء هذا الأمر ما كان، فقال: **"كان اللهُ ولم يكن شيء غيرُه، وكان عرشُهُ على الماء وكتب في الذكر كلَّ شيء، ثم خلقَ السموات والأرض"** وفي رواية البيهقي من طريق أبي معاوية: **"كان الله قبلَ كل شيء"**.

[8] **كُنْتُ كَنْزًا لا أُعْرَفُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ خَلْقًا فَعَرَّفْتُهُمْ بِي فَعَرَفُونِي»**. فى الموضوعات الصغرى ص232/141 للهروى.

موضوعنا الأوّل، فقد أردنا أن نشير فقط إلى تجلّيات الله ﷻ، ومنه أنّ الشيخ سيدي أحمد التّجاني ﷺ قال في الإفادة الأحمدية: "**قيل لي من الغيب: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب**"، وهنا أسأل الله أن يسامحني في ما أتحدّث به عن الشّيخ ﷺ فقد يكون فيه بعض الخلط، وأسأل الله أن يسامحني كذلك لأنّي قلت أنّ فيه بعض الخلط، فسيدي الحاج القمار ﷺ لا يحبّ منّي ذلك، هو لا يحبّ أن أقول عن هذا الكلام أنّه خلط لأنّه هو الّذي يقوله لا أنا، وقد قال: "نحن من نتكلّم"، على كلّ حال نعود للحديث عن سيّدي أحمد التّجاني ﷺ الّذي قال في ما معناه: "أسمعها قد انبعثت من جسدي كلّه "**أيا أحمد قد بلغت المنى**" ثمّ أراها مكتوبة في السماء، ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[9]، ومعناه أنّه ﷺ قد أُعطي كلّ شيء، فإن شاء أعطى وإن شاء منع، ومن دون أن يحاسب لا على الإعطاء ولا على المنع، فماذا يفعل ﷺ حقيقةً؟، قال سيدي الحاج القمار ﷺ: إنّما يفعل فقط ما سبق في علم الله أنّه يفعله، أو ممّا هو معناه، فهذه هي المرتبة، فهذه مرتبة من مراتب الربوبيّة، والربوبيّة هي الاسم "الربّ"، والاسم "الرّحمان" أعلى، والاسم "الله" أعلى، والاسم "الله" فوقه اسم أعلى منه وهو الله حقيقة، أي الاسم الذّات[10]، فحين تذكر الاسم "الله" وكأنّك قلت "السّلطان"، فأنت لم تذكر اسمه الحقيقي، بل ذكرتَ فقط الاسم "الله" الّذي يتوجّه إليه النّاس بالعبادة والصّلاة، أي الألوهية، ولكن في الحقيقة فالله ﷻ له اسم آخر وهو اسمه الحقيقي، ومن عرف اسمه الحقيقي فكأنّما –ولله المثل الأعلى– قد دفع باب الحضرة الإلهيّة ودخلها مباشرة، ومن هنا فإنّ الشيخ ﷺ قد جعله الله ﷻ مربّيا ومعلّما للمخلوقات، ولكي يكون مربّيا ومعلّما لابدّ وأن يعطيه الله المؤونة اللاّزمة لهذه المهمّة، ولماذا كلّ هذا؟، لكي يوصلهم الشيخ ﷺ إلى الله ﷻ، فهو شيخ الوجود،

---

[9] (39) سورة ص

[10] " **... فان اسماء التشتيت التي تعلقت بذرات الوجود راجعة الى الاسم الرحمن والرحمن في الاسم الرب والرب في الاسم الله والله في الاسم الذات ...**" راجع كتاب "الشرب الصافي من الكرم الكافي" حاشية على جواهر المعاني لحبر الأمّة الأحسن بن أبي جماعة البعقيلي، الطبعة الأولى، مطبعة درب غلف، الجزء 1، الصفحة 98.

فإذا رأيناها هكذا كما فسّروها لنا، فسنراها سهلة وفيها معرفة عظيمة تفتح لنا الأبواب، ولكن إذا سمعناها بمنظار الشّريعة فقط فسنقول عنها مباشرة أنّها كفر صراح

سيدي خالد محمّد القمار ﷺ: البارحة كنت أقرأ من كنّاش الوالد ﷺ، فوجدت فيه كيف فُتح له باب العرش حين كان في المغرب، وقد كان وقتها يقرأ شيئا معلوما، وبالمناسبة قال عنه: "من عرف هذا الّذي أقرأه فليكتمه"، وفي أثناء قراءته تلك، أحسّ بشيء يلامس جنبه، فالتفت فوجد السماء قد نزلت وقاربته، وقد كانت سوداء، وهو مواصل لقراءة ذكره لم يتوقّف، وإن كان ﷺ يقول أنّه قد أحس ببعض الرّهبة، ثمّ في آخر الذّكر تقريبا، أصبحت تلك السّماء نورا، وهو مواصل لذكره لم يقطعه، وقد بقيت السّماء مفتوحة قدر ما يقرأ القارئ فاتحة الكتاب بالتّرتيل، وقد طلب أشياء منها ما حصل له بالوقت، وهذه الحادثة مدوّنة في كنّاشه ﷺ بالتفصيل ...

البيان: وقد قال ﷺ في ما معناه: مازلت إلى الآن أنظر إلى السماء فأعرف مكان ذلك الشقّ الّذي رأيته يومها، وكان من جملة الأشياء الّتي طلبها أن طلب التقوى، وهذه قد صرّح لنا بها ﷺ، وفعلا قد أُعطي التقوى، ومن هنا نستطيع أن نواصل حديثنا الّذي بدأناه في أوّل اللّقاء، وهو أنّ التقوى من جملة ما يمكن أن يطلبه الإنسان من ربّه ﷻ، لأنّه ليس من السهّل أن يكون الإنسان تقيّا، والمقصود من كلمة "تقيّ" هو أن يكون تقيّا مستقيما كما عرفنا التقوى والاستقامة عند السّلف الصالح ﷺ، فهذا ليس بالأمر السهل بل هو صعب جدّا، وهذا ليس إغراءً للنّاس بعدم الاستقامة، ولكنّ مثل هذه الأمور لابدّ للإنسان أن يعلمها حتّى يستطيع أن يعبد ربّه كما ينبغي، وإلاّ فقد يصير عنده شيء من الكبت والقنوط، فيترك العبادات العاليّة ويحدّث نفسه بأنّه قد هلك وأنّه لا يصلح لشيء، وينسى

بالتّالي أنّه في حرب يوميّة، بين الرّجاء والخوف، وبين إبليس والنّفس والهوى من جهة والشّرع من جهة أخرى، فينسى أنّه حين قام بذلك الاستغفار قد محا عن نفسه كلّ شيء، وينسى كذلك أنّه حين قام بتلك المعصية لم يقم بها استكبارا على الربوبيّة، بل غلبته شهوته، وغلبه إبليس، فعن قريب يتوب ممّا هو فيه، وقد صار لبعضهم حادثة في هذا الشأن مع الشيخ سيدي أحمد التجاني ﵁ طلبه يدعو له بالاستقامة، فقال له ﵁: "**قُلْتُ لَكَ الله يقبل عليك بفضله ورضاه كنت مستقيما أو معوجا**" فأعرض عن طلبه وذكره .فسئل لماذا لم يسعفه؟ فقال: "**من يريد الاستقامة في هذا الزمان كمن يريد أن يبني سلما إلى السماء. وبعد ما يستقيم الإنسان لا يجد مع من يستقيم**"[11] ا.هـ وقد قال سيدي الحاج القمار ﵁ أنّ هذا أغلب ما كان يدعو به سيّدي ومولاي أحمد التّجاني ﵁، وهذا الشيخ سيدي أحمد التّجاني ﵁ وما أدراك، فهو بحر الحقائق، ولماذا قال الشيخ ﵁ مثل هذا القول؟، وهذه نقطة يجب أن نفهمها جيّدا، وهي النقلة الّتي قام بها سيدي الحاج الأحسن ﵁ وسيدي الحاج القمار ﵁ في فهم الفقير الصادق أو فهم الفقير التّقيّ، وهي نقطة تحوّل كبرى، أي إذا أقبل الله ﷻ عليك بفضله ورضاه فلا يبالي إن كنت مستقيما أو كنت غير ذلك ...

فقير: ومن ذلك سؤال أمّنا عائشة رضي الله عنها للنبيّ ﷺ عمّا يمكنها أن تطلب في العشر الأواخر من شهر رمضان لعلّها تصيب ليلة القدر، فقال ﷺ في ما معناه: "**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**" [12] ...

البيان: وهي ما سمّاها سيدي الحاج الأحسن ﵁ علامة المغفرة، أي أن يُنَسِّيَ الله ﷻ بقاع الدنيا هفواتك الّتي قمت بها فلا تستطيع أن تشهد عليك

[11] الإفادة الأحمدية رقم 216 طبعة مطبعة الصدق الخيرية مصر 1350 هـ

[12] أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب رقم 89، الحديث رقم 3580، عن عائشة قالت: "قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني". هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

بشيء من ذلك، بل وأكثر من هذا، فإنّه ﷻ يمحو تلك الذنوب حتّى من عند رسول الله ﷺ وربّما من عند الشيخ رضي الله عنه حتّى لا يحزنهم بتلك المعاصي، فيطهّرنا ﷻ منها ثمّ إذا ما عُرضنا عليهم نكون أمامهم كالطفل الرّضيع الذي لا ذنب له، ولو عملنا ما لا تعمله الشياطين، ومن هنا كان قوله رضي الله عنه: لا تتشوّف إلى ما كان عليه السلف الصالح فإنّهم رضي الله عنهم أعانهم زمانهم على ذلك وهذا زمن آخر وله حكم آخر، وهذه يجب أن نتمكّن من فهمها جيّدا، ومن هنا تجد أنّ سيدي الحاج القمار رضي الله عنه وسيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه كعارف بالله تعالى ومربٍّ يكون حازم الطّبع ويكون في نفس الوقت في قمّة اللّين، ومن هنا أشار رضي الله عنه فقال: لا تتشوّف إلى ما كان عليه السلف الصالح لأنّك إذا تشوّفت إلى ما كان عليه سيّدي فلان من التّقوى وما كان عليه سيّدي علاّن من الاستقامة والزهد فإنّك لن تستطيع أن تعبد ربّك في هذا الزمان، فينكسر قلبك وتنفلت منك قواك وتغور نفسك فلا تستطيع أن تعبد الله، ولا تستطيع أن تستغفر، ولا تستطيع أن تكون فقيرا ولا أي شيء آخر، ومع ذلك فقد أخذوا بأيدينا، رضي الله عنهم، وجذبونا إليهم جذبًا، برغم كلّ ما كنّا عليه، فتعلّمنا منهم الاستغفار، وتعلّمنا منهم الصّلاة على رسول الله ﷺ، وحبّبوا إلينا النبيّ ﷺ، وحبّبوا إلينا الشّريعة والتّوبة وأهل الخير، وحبّبونا فيهم رضي الله عنهم، فأصبحنا نتّبعهم على قدر الطاقة، فمن هنا كانت كلمة "لا تتشوّف"، لأنّ كلّ من أراد أن يتقن أموره من تقوى ومن استقامة على قدر ما كان عليه السّلف الصّالح فإنّه يهلك، فالنّقطة الجوهريّة في موضوعنا هذا هي أنّ تعضّ على هذا المشرب بالنواجذ، أي لا تلتفت إلى غير أقوال أشياخنا وإلا فإنّك ستهلك، فلا تقرأ كتب التصوّف لأنّك ستتضرّر، ولا تستحلي كلاما آخر فإنّه سيبعدك عن هذا الذوق العالي، فبهذا الذوق العالي تجد من الفقراء من يصلي على رسول الله بالآلاف ما بين اليوم والليلة، ومنهم من يتلو كتاب الله ومنهم من يقوم الليل ومن يطعم الطّعام، وكلّ هذا يكون بهذه النيات، لماذا؟، لأنّ الأصل فيه قوله ﷺ: "**أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ**

وَرَبٌّ غَفُورٌ"[13] أي أنّها أمّة كلّها أولياء ومحبوبة عند الله بل ومعصومة برسولها ﷺ، فتوقّف يا قلم وتأدّب، أمّة مذنبة وربّ غفور، ومن هنا تعلمون أنّ مشرب أشياخنا هو مشرب خاصّ جدّا، وهو خاص بالمعرفة بالله تعالى، وإذا ما رجعت إلى جواهر المعاني وإلى كلام الشيخ سيدي أحمد التّجاني رضي الله عنه تجد أنّ هذا الأمر هو من أعظم الإفاضات الّتي أفاضها علينا، فمن هنا تعلم أنّك إذا طلبت المغفرة والمسامحة من الله فإنّه يغفر لك ويسامحك ولكنّ الذنب يظلّ مكتوبا في كتابك، ولو طلبت منه العفو فإنّه يعفو عنك فيُمحى ذلك الذنب تماما، وبالتالي كان طلب العفو من أعظم الأدعية على الإطلاق، وكلّ هذا ببركة الفقراء، فإنّك حين تسمع من الفقير فذلك هو عين الحضرة الإلهيّة، فالفقير يتكلّم بلسان الله، ويمشي برجل الله، ويمدّ يده بالله، فكلّه بالله[14]، وأعيد وأكرّر: الفقير هو عين الحضرة الإلهية وهو كلّه بالله، ولذا فمن وجد تعبا فليذهب إلى حضرة الفقراء ليدعوا له ويتبرّك بهم ويجلس معهم فيعظّمهم وينظر فيهم نظرة عالية فإنّ الله لا يخيّبه فيهم أبدا، فإنّهم يحملون عنه ذنوبه ومشاكله ويحملون عنه كلّ شيء، فلابّد أن ينظر الواحد منّا إلى الفقراء نظرة عالية فهُم الشّيخ رضي الله عنه، فلو يُفتح لك لرأيت الشّيخ رضي الله عنه ولكنت رأيت رسول الله ﷺ في كلّ واحد منهم معاينة، فتراه ﷺ معاينة وهو جالس الجلسة المعلومة، وهذا مع كلّ واحد فيهم، فلا تستطيع أن تنظر إلى أحدهم بعين النّقص أبدا، ولا ترى نفسك إلاّ أقل منهم، رضي الله عنه، وما فُتح على وليّ إلا وهو مستقبل للقبلة، وممّا أوصَى به سيدي الحاج القمار رضي الله عنه أنّك إذا قرأت حديثا فيه دعاء فاقرأ ولا تنسى أنّه دعاء، فانوِ فيه الحديث والدّعاء معا، كقوله ﷺ: "**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ**

---

[13] رواه ابن النجار في تاريخ بغداد، والرافعي في تاريخ قزوين عن أنس: **دخلت الجنة فرأيت في عارضَتَي الجنة مكتوباً ثلاثةُ أسطر بالذهب: السطر الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله، والسطر الثاني ما قدَّمْنا وجدِنَا وما أكلنا ربِحْنا وما خلَّفنا خسرنا، والسطر الثالث أمة مذنبة ورب غفور.**

[14] قال (ص): **إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنّه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته.** تخريج السيوطي البخاري عن أبي هريرة.

عَنَّا"، فنقرأها طالبين من الله العفو والعافية، فكلّ ما تجده من حديث ويكون فيه الدّعاء فاحذر أن تضيّع نفسا واحدا وأنت تقرأه على أنّه حديث شريف وكفى، فإنّك إنّما تعبد الله بقراءة الحديث من كلام رسول الله ﷺ وبذات الدّعاء الموجود فيه تتوجّه به إلى الله بقلبك، ويكون هذا مع الفاتحة ومع كل شيء وفي التشهّد أيضا، فلا يغفل الإنسان عن هذا لأنّ العارف لا يضيّع لك نفسا من أنفاسك، ومن هنا قال هزلهُم جدّ وجدّهم جدّان، لأنّنا كلّنا دائما في الطاعة ...

سيدي خالد محمّد القمار رضي الله عنه: وكلّ ما ظهر هنا إنّما هو نَفَس واحد وهو كقطرة في بحر محيط بالمقارنة مع ما هو مخفيّ، وهذا مما قاله الوالد رضي الله عنه لسيدي الحبيب ودوّنها في طرّة كتاب الكنز المدفون بخط يده تعليقا على ما قاله الشيخ في صلاة الفاتح لما أغلق ...

البيان: وكأنّ سيدي الحاج محمّد القمار رضي الله عنه قد أذننا في ذلك الكتاب، أعني العبد الضعيف وسيدي خالد رضي الله عنه، فقرأنا الكتاب حتّى ختمناه، وبعد ما أتممناه قرأ لنا فاتحة، ولم نغيّر نقطة منه، فهو في الحقيقة أذننا فيه ولعلّه أفاض علينا بأسراره، هو لم يقل ذلك فهو عادة لا يصرّح بشيء من هذا، ولكنّنا أحسسناها في حينها، ثمّ بعد ذلك بدأنا ندرك قليلا فقليلا ما حصل، وهذه مسألة عظيمة جدّا لكي تعرفوا من هو الشيخ سيدي أحمد التّجاني رضي الله عنه، وعليه فمن هو الشّيخ؟، لابدّ أن يتّصف من يسمّى شيخا بأربعة أمور، أوّلاً أن يكون صحيح العلم لأنّ العلم كثير، والعلم الصحيح فقط هو الّذي تستطيع أن تجعله أساسا تبني عليه وتعلّي بناءك، فلابّد أن يكون له علم صحيح، وثانيا: لابدّ أن يكون له ذوق صحيح كذلك، فمن فُتح عليه وهو غير مستند إلى شيخ فإنّه سيقع قبل أن يخطو بضع خطوات إلى الأمام، فهو مفتوح عليه على كل حال لكنّه لم يوجّه ذلك الفتح إلى الله على حسب الطريق الّذي يحبّه العارفون فيقع في الغلط مباشرة، وإنّما يكون فتحه لا قدّر

الله وبالاً عليه، والثّالثة أن يكون على حالة مرضيّة من صلاح الأحوال ومن التّقوى، لا نقول تقوى كتقوى الأنبياء ولكن في حالة مرضية فقط، ثمّ الشّرط الرابع أن تكون له همم نافذة، فهذا هو الشّيخ، ومن جملة الهمّة أن تكون همّته "الله"، فلا يدلّك ولا يكلّمك ولا ينهض قلبك إلاّ إلى الله، وهذه شروط الشيخ الأربعة قد ذكرناها لنتحدّث عن الهمّة، فقد قيل عن الشيخ سيدي أحمد التّجاني ﵁ أنّ له هما لا منتهى لكبارها إلى حدٍّ يَحرُم ذِكره، وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر، وكما قال الشاعر:

لَـــــــهُ هِمَـــــــمٌ لاَ مُنْتَهَـــــــى لِكِبَارِهَـــــــا

وَهِمَّتُـــــهُ الصُـــــغْرَى أَجَـــــلُّ مِـــــنَ الـــــدَّهْرِ

وهذه هي الّتي نتحدّث فيها الآن، أي أنّ همّته الصغرى تكون من "الله" فصعودا إلى ما لا نهاية له، ومن هنا كان قوله ﷺ: "**لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللهُ**"[15]، ومن هنا تجد أنّك كلّما دخلت من معرفة إلى معرفة تجدها كنقطة في بحر، فكان لابدّ للواحد منّا أن يستحضر هذه الأمور في ذات سيّدي ومولاي أحمد التّجاني ﵁ فينبثق في قلبه هذا المشهد فيتذوّق المعاني.

بحمد الله.

[15] لمسلم عن أبي هريرة. حديث صحيح

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الولاية ليست كسبًا

البيان: الولاية ليست كسبًا، إذ لا تُكتسب الولاية، ولا يُصبح الولي وليّا لله تعالى بالكسب أبدا، إنّما الولاية تفاض من بحر الفضل الإلهي، فتسمّى عند العامة "ولايةً"، لِمَا ظهر على ذلك الوليّ من مصادفة أقواله أو أفعاله لعالم الحقائق بأن دعا على فلان بشرّ فأهلكه أو دعا له بخير فقُبل دعاؤه من الله تعالى أو أشار بإشارة فكانت كما هي أو كاشَفَ أحدهم مكاشفة فكانت كذلك إلخ، وأما الولاية الحقيقية عند العارفين بالله تعالى وأكبر كرامة فهي الاستقامة مع الشّرع، وهي من أصعب الأمور، وهي أيضا لا تكتسب إلاّ أننا نجتهد فيها، فلا تستطيع أن تكون تقيّا أو صالحا أو مستقيما كما تريد، بل تجتهد فتخطئ وتصيب حتى تُسلِم أمرك إلى الله ﷻ وتقول: يا ربّ إليك الملجأ وعليك الاستناد ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فتُسلِم له ﷻ وهو يوشك أن يأخذك بأيّ هفوة من هفواتك لكنّه يرحمك ﷻ لأنّك متعلق برحمته، فنحن نرجو رحمته ومغفرته ونرجو منه ﷻ أن يتجاوز عنّا وعن أفعالنا، ونسأله أن يغفر لنا كلّ ما فعلناه وكلّ ما استغفرناه فيه ثمّ عدنا إليه وكذلك كلّ ما آلينا على أنفسنا أن لا نفعله مرّة أخرى ففعلناه مرارا، وهذا هو ربّنا ﷻ ونحن عبيده ضعفاء إليه وعسى أن يقبلنا ﷻ برحمته، فلا حول لنا ولا قوّة معه ﷻ، إذن فهذا هو "الولي" عند العارفين وهو الذي استقام مع الشّريعة قولا وفعلا واعتقادا، فيسمّى وليّا أي أنّه والى الله ﷻ في كلّ ما أمره به فيكون وليّا من أولياء الله ﷻ وبالتالي تظهر عليه أنوار إتّباعه للشّريعة، وتظهر هذه الأنوار في أقواله فيكون لهذه الأقوال نور ونورانيّة، فيحس بها ويتذوقها ويلحسها ويشربها كلّ من

كان له باع وذوق في هذه الأمور، وإلاّ فجميع المؤمنين هم أولياء لله، وخاصّة منهم الضّعفاء المنكسرة قلوبهم لشاهد قوله ﷻ: "**أَنَا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ**"[16]، وهم أهل الضعف وأهل إيمان العجائز وأهل التسليم التام لله في ملكه وأهل الحمد والشكر على كل ما أعطاهم الله ﷻ، فكلّهم أولياء لله تعالى، وأمّا الولاية المعروفة عند العامّة من ظهور خوارق العادة والكرامات فهي موجودة أيضا إلاّ أنها لا تعتبر عند العارفين، فالعارفون لا يسمّونها ولاية بل يسمّونها كرامات أو خوارق للعادة ويبقى صاحبها غير مقطوع له بالوصول، وأمّا الذي استقام مع الشّريعة وداوم وصبر عليها إلى أن لاقى ربّه ﷻ وهو على هذه الحال فهو من أكابر أولياء الله تعالى، حتّى وإن لم تظهر عليه أي كرامة فكرامة الاستقامة هي أعظمها وليس بعدها كرامة، فإن وفّقك الله إلى الاستقامة مع الشّرع فذلك علامة أنّك من الأكابر، وإن لم يوفّقك إلى ذلك فابْكِ، أو كما قال سيدي الحاج القمار ﷺ، أي ابكِ على الله طلبا لرحمته وأن يجعلك من المقرّبين، فهذه هي الولاية، والوليّ هو الله ﷻ، ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[17]، والمتصرّف هو الله ﷻ لا غير، وإنّما المؤمن إذا والى الله ﷻ واتّبعه واتّبع سنّة المصطفى ﷺ فله أن يُسمّى وليا لله تعالى، وأمّا الولاية فلا تكتسب، فلا يستطيع الإنسان أن يقول مثلا سأصبح وليّا كما يقول سأصبح دكتورا أو فلاّحا أو طيّارا، فقوله "سأصبح وليا" ناشئ عن شدّة اعتقاده في كثرة ذكره وكثرة صلاته وكثرة صدقاته أو بكثرة ذكر الخواصّ أو بخلوةٍ إلخ، فكلّ ذلك مطلوب شرعا وفيه ثواب عظيم وفيه أنوار عالية وأسرار غالية وفيه كلّ ما تريد إلاّ أنه لا يُرجع غير الولي وليًّا أبدا، فالولي من كان في علم الله وليًّا، لكنه ربما لم يظهر بعد، فإذا أراد الله ﷻ أن يظهر خواصَّ أحدٍ من هذه الأمّة المحمّديّة فإنّه ﷻ بقدرته الباهرة يظهره ويجعل له

[16] أورده الصابطي في كتاب جامع الأحاديث القدسية تحت عدد 877 وهو (قال الله تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم) وقال عنه: رواه الغزّال ولم يذكر رواية له من الصّحابة.
[17] (28) سورة الشورى

هذه العلامات والإشارات حتى يُعرف أنّه وليّ لله فيتّبعه النّاس، فإذا اتّبعوه فإنه لا يتركهم عنده بل يرجعهم إلى ربّهم، فقد بعثهم الله له لكي يرجعهم إليه ﷻ، وهو إنما يدلّهم على ربهم فيريهم كيفيّة التّعامل مع الحضرة الإلهيّة بما يصلح من الآداب والخوف والرجاء واتّقاء الله إلخ، فيرجعهم بذلك إلى الله ﷻ أي إلى حضرة الحقّ، فهذا هو الوليّ، والولاية غير مكتسبة بل مُفاضة من بحر الفضل، فإذا أراد الله أن يظهر فلانا فإنّه يظهره في زمن مّا بأمور شتّى، كأن يُرى في منام أو في رؤية وأن تكون له كلمة نافذة فإذا تكلم بشيء كان كذلك وإذا توجهت همته إلى شيء قُضي وإذا استغاث به الناس أغاثهم الله ﷻ، فإنّما هي أسباب جعلها الله مركّبة على وقائع معيّنة مع ذلك الولي، فهي هكذا من أصلها والمعطي هو الله، لكنّه ﷻ إكراما لذلك الولي بأن أراد أن يظهره فإنّه يخرج تلك الوقائع مستندة إلى ذلك الوليّ، فيتوجّه إليه الناس فيرجعهم إلى ربّهم، وهكذا تسير الأمور، ومنه فإنّ الولاية لا تكتسب أبدا، ولذلك قولك: هل أنّ سيدي إبراهيم الرياحي ﷺ كان وليًّا قبل أن يدخل الطريقة أو لا؟، فهذا سؤال عظيم ووجيه ومهمّ جدّا في علم الطريقة، فنقول أن سيدي إبراهيم الرياحي ﷺ وأرضاه ونفعنا به آمين إنّما هو وليّ في علم الله تعالى، وقد خلق وليا، وظهر بالعلم أوّلا، ثمّ الصلاح والورع ثانيا، ثمّ الظهور الأكبر كان بظهور مراتب ومقامات أهل البواطن بشموسها وأفلاكها وقوّتها جهارا، ﷺ وأرضاه، فإن نظرت في قصائده فتكفيك القصيدة أو القصيدتان لتعرف من هو هذا الرجل، فقصائده دالة على مقامه في المعرفة بالله تعالى، وأعظم معرفة له هي قوّة معرفته لشيخه ﷺ، فمن مدح سيدي إبراهيم الرياحي ﷺ للقطب التجاني ﷺ ستعرف أنّ هذا الرجل قد تغلغل في بحور المعارف ووصل إلى قعرها واستخرج جواهرها وكلّ ما هو مكنون ومخبّأ فيها، وإنّما يظهر ذلك من قصائده لأنه يبثّ اللهَ في قصائده للمؤمنين، أي أنه يعلّم ويعرّف بالله في قصائده للمسلمين، فقصائده ﷺ كالبحر فإذا أتت على قلب مؤمن فإنها تأخذه إلى الله ﷻ، وقصائده فيها

بركات جمّة وعظيمة جدّا، وسؤالك عن الولاية هو سؤال وجيه، فالولاية بينها وبين النبوة أخوّة، فالولاية ليست نبوّة إلاّ أنها من النبوّة أي أنها من جملة الإرث النبوي الّذي يورَّث وهو العلم اللّدنيّ، وهو العلم بالشّرع وبدقائق الشريعة وبدقائق القرآن وأسراره، وكذلك بدقائق وأسرار كلام رسول الله ﷺ، فمن تمكّن من ذلك يسمّى وليّا، لأنّ الولاية أخت النبوة، فالأنبياء لا يورِّثون درهما ولا دينارا وإنما يورّثون علما[18] وهو العلم بالله وهو المعرفة بالله وهو نور قلوب المؤمنينَ العلماءِ ورثةِ الأنبياءِ، وهو ما يسمى "الولي"، فالوليّ هو العالم العامل بعلمه وهو العالِم صحيح العلم في الاعتقادات خاصّة ثمّ في الشرائع ثانيا بما يلزمه من العبادات وكيفية إتقانها لكن أولا وبالذات يكون صحيح العلم في العقائد أي صحيح الإيمان عاملا بكلّ ما علمه من مقتضيات هذا الإيمان عاملا به بين يومه وليلته كما أنه عامل بمقتضيات الشريعة وضوءً وطهارةً وصلاةً في ما يلزمه بين اليوم واللّيلة فهو عالم عامل بعلمه وبمقتضيات الإيمان كقول ابن عاشر في متنه:

يَجِـــــــــبُ للهِ الوُجُـــــــــودُ وَالقِـــــــــدَمْ

كَـــــذَا البَقَـــــاءُ وَالغِنَـــــى المُطْلَـــــقُ عَـــــمْ

أي يجب لله الوجود والقدم والبقاء المطلق والغنى التام عن غيره وله صفات السمع والكلام الخ، هذه الاعتقادات هي التي تكوّن الإيمان، والولي يعتقدها ويطبّقها بين يومه وليلته فهو عامل بعلمه وكذلك عالم بما يجب من الوضوء والطهارة ويعمل بذلك فمن هنا يسمّى وليّا لأنه عالم يعمل بعلمه ويطبّقه في جميع أنفاسه فيصبح من هنا عابدا لله في مقام الإحسان وهو "**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**

[18] أخرجه أبو داوود في سننه كتاب العلم، الباب 1 وهو باب الحث على طلب العلم، الحديث رقم 3641- وفيه قوله (ص): **"من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ".**

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[19] أي أن تعبد الله على أقل تقدير في مقام المراقبة فتشهد وتعلم أنّ الله يراقبك في كلّ حركاتك وسكناتك فتطبّق كلّ إيمانك وكلّ مقتضيات إيمانك وكلّ مقتضيات علمك بالشّرع فأنت وليّ لله، وكما ورد في الحديث: "**لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلاَ بِالتَّحَلِّي وَلَكِنْ مَا وُقِرَ فِي الصَّدْرِ وَصَدَّقَهُ العَمَلُ**"[20] فهذا يسمّى وليّا عالما عاملا بعلمه عظيم العلم بمقتضيات الإيمان راسخ العلم ويعلم أنّ الله واحد وأنّه لا وجود لشيء إلاّ لله، وأنّ رسول الله ﷺ هو أوّل ما خلق الله ﷻ، وأنّ كلّ شيء تنَسَّل من روحه ﷺ، وأنّ الجنّة حقّ وأنّ الميزان حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الموت حقّ، إلخ، ويعيشه نفسا بنفس، فهذا وليّ

فقير: سيدي، وهل نستطيع أن نقول هو "العامل بأذواقه"؟ ...

البيان: هذا علمه، فأذواقه هي من علمه، وإنّما إذا انفتحت الأذواق فهذا عارف وليّ، والوليّ تكون له مواجيد وأحوال وأذواق وفهوم تفاض عليه فيضةً بعد فيضةٍ، وهو عامل بها كلّها لأنّه مع ربّه، فيسمع من الله ويأكل بالله ويمشي بالله ويتكلّم بالله، فهذا هو الوليّ، وكيف يسمع من الله؟، بأن يسمع من ألسنة الخلق، فألسنة الخلق أقلام الباري، فهو يسمع من كلام الله كالقرآن، ويسمع من كلام النبوّة ﷺ ويسمع كذلك من الأيمّة، وكلّ ما يسمعه فهو يأخذه مأخذ الجدّ لأنّه في الواقع إنّما يسمعه من الله ﷻ، لا أنّ الله يكلّمه حاشى لله، لكن كلّما تحرّك وسكن فهو علامة على أن يفقه ذلك الولي عن الله، لأنّه حيّ بربّه، فلا يشغله عن الله شاغل فلا ينزل ولا يتنزّل عن المراقبة، فيكون دائما في مراقبة أو مشاهدة أو معاينة وهكذا دواليك، إذًا هو عالم عامل بعلمه، لكنّه في الأصل كما قال ﷺ: "**كُنْتُ**

---

[19] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، الحديث رقم 50، عن أبي هريرة قال: **كان النبي (ص) بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث). قال: ما الإسلام؟ قال: (الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان). قال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). قال: متى الساعة؟ قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله). ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: {إن الله عنده علم الساعة} الآية، ثم أدبر، فقال: (ردوه): فلم يروا شيئا، فقال: (هذا جبريل، جاء يعلم الناس دينهم).**

[20] أخرجه ابن النجار والديلمي في مسند الفردوس وكلاهما عن أنس (ر).

نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ، (وفي رواية) بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ"[21]، فكذلك كلّ مخلوق كان على ما هو عليه كائن في علم ربه، ويشهد لهذا الكلام حديث: "**إِنَّ اللهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةً، يَا رَبِّ عَلَقَةً، يَا رَبِّ مُضْغَةً، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ، يَا رَبِّ أُنْثَى، يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"**[22].فيوضع له كلّ ذلك ويختم بختم القدرة الإلهيّة التي ستخرجه حين يحين وقته ثمّ لا يبدّل ذلك، كذلك قوله ﷻ في سورة الإسراء: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾[23]، فإذا كان وليّا أو قطبا فإنّ ذلك مكتوب، جفَّت الأقلام وطُويت الصّحف، والسّابقة هي اللاّحقة، (**ما كان أصابك في الأزل لم يكن ليخطئك وما كان أخطأك في الأزل لم يكن ليصيبك**)[24]، جفّ القلم بما أنت لاق، فإذا كان وليّا فهو وليّ من الأزل، وإن كان غير ذلك فلا يصبح وليّا في الدنيا، فمن كان له فهم فإنّه لا يتعب نفسه، فيكون عبدا من عباد الله أفضل من أن يكون وليّا، وإلاّ ليس له من ذلك إلاّ التّعب، ولا يحصل على طائل إلاّ التّعب فقط وطول التّفكير بلا نتيجة ولا ربح، ولا يزيد ولا ينقص ذلك شيئا، فليكن إذًا عبدًا لله فيرتاح، فيعبد الله بلا غاية، أي بدون أيّ غرض ولا يقصد بطاعة الله شيئا أبدا سوى أنّه عبد لله فقط لا غير، فإذا قال الله صلّوا نصلّي وإذا قال صوموا نصوم وإذا قال حجّوا نحجّ وإذا قال زكّوا نزكّي وانتهى الأمر، ولماذا أصلّي؟، لا أعلم، قال ﷻ

---

[21] لأبي نعيم في الحلية عن ميسرة الفجر، ولابن سعد عن ابن أبي الجدعاء، والطبراني في الكبير، عن ابن عباس (ر). حديث صحيح

[22] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، الحديث رقم 3155، عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ

[23] (13) و(14) سورة الإسراء

[24] أخرجه أبو داوود في سننه، أول كتاب السنّة، الباب 17 في القدر، الحديث رقم 4699، وفيه: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي قال: أتيت أبيَّ بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدِّثني بشيء لعلّ الله أن يذهبه من قلبي، قال **لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار** قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدَّثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك.

صلّ فصلّيت، لأنّي عبد لله وأمّا إن أردت أن تضيّع أنفاس عمرك في البحث عن السبب الدّاعي للصلاة فلك ذلك، وهذا شأنك، وأمّا أنا فقال لي صلّ فصلّيت لأنّي أعرف ربّي كما يعرف الابن أباه، وهذه صلاة العارفين،

تَطَهَّـــــرْ بِمَـــــاءِ الغَيْـــــبِ إِنْ كُنْـــــتَ ذَا سِـــــرِّ

وَإِلاَّ تَـــــــــيَمَّمْ بِالصَّـــــــــعِيدِ وَبِالصَّـــــــــخْرِ

وَقَـــــدِّمْ إِمَامًـــــا كُنْـــــتَ أَنْـــــتَ إِمَامَـــــهُ

وَصَـــــلِّ صَـــــلاَةَ الفَجْـــــرِ فِـــــي أَوَّلِ العَصْـــــرِ

فَهَـــــذِي صَـــــلاَةُ العَـــــارِفِينَ بِـــــرَبِّهِمْ

فَـــــإِنْ كُنْـــــتَ مِـــــنْهُمْ فَانْضَـــــحِ البَـــــرَّ بِـــــالبَحْرِ

فقوله "إن كنت ذا سر" أي ذا سر في الأزل، وهذه هي صلاة العارفين بربهم ...

فقير: كيف نجمع بين هذا الاعتقاد وبين حتمية اجتهاد الإنسان في الأعمال

البيان: هذا سؤال جدّ ممتاز، بارك الله فيك، والإجابة عليه سهلة للغاية، وهذا ممّا كان يطرح الإشكال عند بعض العارفين قبل ظهور هؤلاء السّادة العظام كالشيخ البعقيلي وأصحابه ﷺ، لكن العارفين لهم مقالات في هذا الميدان ربّما اشتهر بعضها وربّما لم يشتهر البعض الآخر أو لم يطّلع عليه النّاس، وهذا السّؤال يطرح هذا الإشكال بالذّات وهو: كيف يكون الإنسان عبدا لله في ما هو مكتوب ومحتوم في علم الله وهو الذي لا طائل من البحث فيه ولا ربح ولا زيادة؟، وكيف يكون العمل؟، ولماذا يتنافس الناس؟، يقول ﷻ: ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ**

الْمُتَنَافِسُونَ﴾[25]، فالتّنافس في العبادات هو أمر شرعيّ، والأمر الشّرعيّ نقوم به إتّباعا للشّرع وللمشرّع الذي قال ﷻ: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[26]، قالوا: ماذا نعمل؟، قال: "**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**"[27]، فالمسألة بسيطة جدا، نعمل ونجتهد ونتنافس في شتّى المجالات ومنها الدنيويّة والأخرويّة، فنقوم اللّيل إن استطعنا ونكثر من الصّلاة على النّبيّ ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق ونتعلّم العلم ونتعلم الآداب ونجتهد، وكلّ ما أخطأنا إلاّ ورجعنا إلى ربنا، فنجتهد في ذلك، لكن لا يكون ذلك بنيّة طلب الولاية أو بنيّة طلب المقامات، فهذه هي النيّة التي تفسد العمل، فلا تكون النيّة من ذلك طلبَ ربحٍ خاصٍ أبدا بل تكون نيّةُ أداء ذلك العملِ الامتثالَ لله ﷻ، ولذا فاللّسان يطلب والجسد يعمل والقلب مستسلم ومسلّم لله تعالى في ثمرة ذلك العمل، فلا نعوّل على ذلك العمل أبدا، فإذا عوّلنا عليه نكون قد أشركنا بالله عملنا، فيصبح العمل غير مقبولٍ عند الله تعالى، ويشهد له حديث "**كذبتَ**"[28]، فيكون الفيصل هنا أن نجتهد في طاعة الله وفي الدنيا وفي الآخرة بجميع الاجتهادات ولكن القلب يكون مسلما مستسلما لله تعالى، فلا نطلب بقلبنا مع الله شيئا وإنّما رضينا بالله ﷻ ربّا وبمحمّد ﷺ نبيّا ورضينا بكلّ ما قدّره الله تعالى وآمنّا ورضينا بقدر الله وقضائه خيره وشره، فإنْ خيرا شكرنا وإنْ غير ذلك صبرنا ودعونا الله أن يرفع عنّا ذلك الابتلاء، فنكون بين الرّجاء والخوف، وهذا هو شأن المؤمن إلى أن يلقى الله، وهذه هي الإجابة عن هذا

---

[25] (26) سورة المطففين

[26] (105) سورة التوبة

[27] لأحمد في مسنده وللبخاري ومسلم ولأبي داوود، كلهم عن عمران ابن حصين. للترمذي عن ابن عمر. لأحمد في مسنده عن أبي بكر. حديث صحيح.

[28] **"أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَا يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعلِمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: أَلَمْ أُوسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَوَادٌ وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ كَذَبْتَ، يَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ."** الحديث رقم 2489 من سنن الترمذي، عن أبي هريرة، وقد ورد في أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الباب رقم 35 وهو باب ما جاء في الرياء والسمعة. حديث حسن غريب.

السؤال، نرجو أن تكون واضحة ومفهومة. وأمّا هذا السّؤال المكتوب أمامي الآن، فلم أفهمه جيدا ولا أستطيع الإجابة عنه، فعلى صاحب هذا السؤال أن يعيد صياغته بشكل واضح فيذكر فيه المعلومة المراد الاستفسار عنها من مصدرها بأن يحدّد الكاتب واسم الكتاب والصفحة التي أخذ منها سؤاله، فالأمور يجب أن تكون على هذا النّحو، يحرر سؤاله بوضوح ودقة ويذكر المصدر كالإراءة مثلا ويذكر الصفحة ثمّ تكون الإجابة إن شاء الله، ونطلب منه أن يسامحنا لعدم إجابته للأسباب التي ذكرت، فكلام المشائخ عند التلاميذ والمريدين يطبّق كما هو، حتّى وإن فهمه المريد أو التلميذ على غير ما أراد الشيخ، فإنه ينجو بذلك ولا يكون إلاّ خيرا ببركة نيته وببركة جِدِّه، لأنّ الله ﷻ هو الذي نصّبه للدلالة عليه فلا يخزيه أبدا لا هو ولا تلميذه، وإنّما يكرمه ويعطيه ويزيده، ويجعل الله له من أمره مخرجا[29] ومنفذا ويدور الحقّ أينما دار لفظ ذلك الوليّ، لأنّ الله تعالى هو الذي أذن له عن طريق الباطن أن يقول كذا وكذا، وأمّا إن كان من المربين المرشدين فإنه يستعمل كلام شيخه بمقاصده ولابدّ له أن يغوص في مقاصد كلام شيخه، ويستند خاصّة إلى المقاصد الشرعيّة فيه، فتصبح علوما نابعة من علوم حتّى يكلّم كلّ فئة من النّاس بما يناسبهم في ذلك المقام، فإن خاطب أهل الشّريعة فإنه يخاطبهم بلسان مقاصد شيخه في ذلك الكلام، وإن خاطب أهل الطريقة والأخلاق المحمّديّة فيخاطبهم بما يناسبهم، وإن خاطب العارفين المفتوح عليهم خاطبهم بما يناسبهم، فيكون له علمه بمقاصد شيخه وبمقاصد الشريعة في كلام شيخه ويكون علمه علما مستقلا أي زائدا على العلم الأول، فالعلم الأول هو اعتقاده صحة كلام شيخه حرفا بحرف، ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[30]، فهذا الاعتقاد هو علم عظيم، وفعلا أولياء الله تعالى ﷺ لا يستندون إلاّ إلى القرآن والسنّة، فاعتقاده صحّة كلام

[29] **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا)** (2) سورة الطلاق
[30] (42) سورة فصلت

شيخه من هذا الباب وتطبيقه له من دون تفرّس ولا شكّ ولا وهم ولا إعمال عقل إنّما هو علم في حدّ ذاته وهو علم أهل التّصوّف، وهو أن تترك علمك وتترك نفسك لمن تعتقد فيه صفة الولاية وصفة العلم الرباني حتى يدلّك على ربّك فإن اتّبعته أوّلا ظهرت لك فيما بعد بركة أقواله، أي ظهر لك علمه المخفيّ، لأنه يتكلّم كلاما بسيطا في ظاهره وهو في الحقيقة ذو مرامٍ بعيدة جدّا، وذلك الولي في حدّ ذاته لا يستند إلاّ إلى القرآن والحديث، فإن لم تسلّم له ابتداءً فكيف ستتعلّم منه؟، لن تفهم من علمه شيئا، فهذا الاعتقاد في صحّة كلام الشّيخ وإلقاء النّفوس للشّيوخ حتّى يخرجونا من المهالك إنّما هو علم عظيم، وما اعتقده رجل أو اعتقدته امرأة إلاّ وكان أو وكانت من أولياء الله تعالى، لأنّه لا يسلّم للولي إلاّ من كان وليّا لله تعالى، وأمّا إن كان من المربّين أو من العلماء فإنّه يزيد على ذلك معرفةً وغوصًا في المقاصد الشّرعية التي يستند إليها كلام الشيخ من القرآن ومن كلام الرسول ﷺ وأقوال الصحابة وأفعالهم وأقوال العارفين قبله، ثمّ يكون له هذا كلّه علما زائدا على العلم الأول حتى يُربح به الناس، وربما يفسح بمن لم يعتقد هذا الاعتقاد، أي من كان له نقص بالعلم الأوّل فيعينه بالعلم الثّاني فيقول له: كما قال ﷻ أو كما قال ﷺ أو كما فعل الصّحابيّ الجليل فلان ﵁، فيظهر له جواهر وأصول هذا العلم الذي تكلّم به شيخه فيكون بذلك قد وسّع الدّائرة التي نطق بها شيخه ﵁ ويكون بذلك قد زاد في العلم علوما وأسرارا، فمن هذه الناحية لابد له أن يكون مطّلعا متمكّنا من مقاصد الشّريعة بأقوال شيخه، ومن هنا فعلاً يكون التّوسّع، فيكون له الاجتهاد والاستنباط في كلام شيخه، ولذلك كان الشيوخ ﵁ يأذنون لبعض تلامذتهم في رواياتهم، بأن يقول: أنت مأذون في مرويّاتنا، أي أنت مأذون أن تقول قال سيّدي فلان كذا وكذا، ولك أن تتصرّف في ذلك الكلام لأنك عالم بمقاصد كلامه ﵁ ومحيط بها من وجوه ومتمكّن منها وهي متمكّنة من قلبك، فبذلك تكون لك القدرة والإذن أن تقول: قال سيّدي فلان كذا وهو إنّما أراد بذلك كذا

وكذا إلخ، وهذا يكون للكُمّال، وإلاّ فإنّهم لا يأذنون في رواياتهم ﵁، فكتاب "**الشرب الصافي من الكرم الكافي**" حاشية على كتاب "**جواهر المعاني**" لسيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﵁ هو كتاب من هذا الباب، فيقول فيه صاحبه ﵁: قوله ﵁ كذا وكذا، وكأنه بذلك يقول: أنا أبيّن لك مقصود الشيخ ﵁ من قوله كذا وكذا، ومن هنا لا يستطيع أحد أن يتجرّأ وأن يتكلّم في كلام سيدي أحمد التجاني ﵁ أبدا، إلا من كان له الإذن الصّريح الصّحيح معاينة مشافهة في مرويّات الشيخ وفي كلامه وفي علمه ﵁، فله أن يقول أراد الشيخ ﵁ أن يقول كذا وكذا، ولا يستطيع غيره أن يقولها أبدا، إلاّ من كان له هذا الإذن، وقس على هذا بقيّة الخلفاء ﵁، لأنّ الشّيخ لا يأذن له في كلامه وفي مرويّاته وفي علومه حتّى يُلبسَه ذاته وروحه وعلمه وسرّه، فيكون قادرا به وبالله أن يتكلّم في هذه المقاصد، وإلاّ فإنّه لا تكون له القدرة على ذلك. وهذه لمحة بسيطة عن هذا الموضوع إذ لا نريد أن نطيل عليكم لكنّ الكلام في هذا الشأن متواصل، فالحمد لله، ورضي الله عنهم ...

فقير: متى يستطيع الفقير أن يعتبر أنّ ما يحصل معه هو إشارة من شيخه، فيكملها بعقله؟ ...

البيان: كلّما أراد أن يخطأ فما عليه إلاّ أن يُكمِل بعقله. والعارف يستفيد من نفسه كما يستفيد منه أصحابه، ولذا كان لابدّ لعلمه أن يسجّل ويدوّن لكي لا يضيع، لأنّ هذا علم عظيم بصدد الخروج ببركة الشيخ وببركة الفقراء، فالعارف يستفيد من نفسه كما يستفيد منه أصحابه، وهذه كلمة عظيمة القدر والمقدار، لأنّك إن لم تدوّن ذلك العلم فقد ضيّعته، وبذلك تكون قد أضعت بحرا من العلم، وقد قال لي سيدي محمّد الكبير البعقيلي ﵁ في ما معناه: هذه سُنَّتُكَ وأنت عمِلت بها، فقلت له: سيدي، لا خوف من ذلك، ومن حينها أصبح الجميع يسجّلون عنه مقولاته، وقد أصبحت هذه التّسجيلات أقراصا تصدر كلّ أسبوع

تقريبا، وظلّ متخوّفا ﷺ من فكرة التّسجيل لأنّها لم تكن موجودة من قبل، وظللت أقول له مرارا: لا خوف من ذلك، لأنّ هذا علم ويجب أن يدوّن ويسجّل لكي لا يضيع، ومن جملة ما قلت له: هذا العلم هو علم عظيم وعالي القدر والمقدار، فلو لم يوجد من يسجّله لفعلت ذلك وحدي، لأنّ العلماء والفقراء سيحتاجونه حتما، وأنا من جملتهم لأنيّ طالب من طلاّب ذلك العلم، ولو فعلت ذلك من أجلي ودون مساعدة، وقد قال ما قال ﷺ وهو خائف من هذه السنّة الّتي لم تكن من قبل، فانظر إلى هؤلاء العارفين وإلى أدبهم مع ربّهم.

فقير: لله المثل الأعلى، كمثل الّذي قيل فيه: أصحابه لم يقيموه[31]، لأنّهم لم يدوّنوا عنه شيئا من علمه ...

البيان: فعلا، قتلوه لأنّهم لم يدوّنوا علمه، في حين أنّ من دوّنوا عنه العلم استطاعوا في ما بعد أن يستخرجوا من جملة واحدة كتبا بأكملها، وأنتم كلّكم كتب، فلماذا تستمعون هذا القول وتفرحون به؟، لأنكم تجدون الكلام هو هو، وأنا من أين آتي به؟، من عنده هو، فيتفرّع قليلا فقليلا، ولهذا تستمعون إليه وتستمعون إليّ وكلّكم آذان صاغية، لماذا؟، ببركته ﷺ، فلو خرجت عليكم بكلام غير مستقيم كدجاجة نُتف عنها ريشها لما استمع إليّ أحد منكم، فالأمر ليس بالأمر الهين أو السّهل، ولن يستمع إليك أحد منهم لأنّهم من خيرة تلاميذ سيدي الحاج محمّد القمار ﷺ، فليس من السهل أن يلقي لك السمعَ تلميذ من تلامذة الشّيخ القمار ﷺ، لأنّ ذوقهم مطابق تماما لذوقه ﷺ، فشيخنا شيخ عالٍ ذوقا وهم أيضا عالون رضي الله عنهم، فهم الأحرار، ولهذا قال: "نسأل الله أن يرضيكم عنّا"، ففعلا نسأل الله أن يرضيكم عنّا وأن تكونوا فرحين ناشطين وأن تدعوا لنا بالخير ولا تغضبوا منّا، نرجو أن تغفروا لنا إن أخطأنا معكم أو قلنا لكم قولا غير

[31] قال الإمام الشافعي: الليث افقه من مالك ولكنّ أصحابه لم يقيموه، الذهبي في سير أعلام النبلاء 156/8 والليث ابن سعد بن عبد الرحمان الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية معاصر لمالك ويظاهيه في العلم، الذهبي136/8-163

لين، وإن كان الكلام لا يخرج من عندنا إلاّ على الهيأة الّتي جاءنا بها، فيكون فيك أو في غيرك ...

فقير: سيدي، وهكذا كان يفعل سيدي الحاج القمار ﷺ، فتخرج منه كلمة الحق ولا يبالي بمن فرح بها ومن غضب منها ...

البيان: لأنّه ﷺ لو لم يفعل كذلك لأصبح في الأمر تلاعبٌ، ولهذا إذا ما قلت كلمة فإني لا أعرف من المقصود بها بالتحديد، فلا أنتبه لذلك إلاّ بعد حين، وفي أغلب الأوقات لا أنتبه البتة، فلا أعلم ما فهمه هذا وما فهمه ذاك، فلا أجد إلاّ كلاما قد بدأ يتدافع على لساني يريد أن يخرج، فما عساي أفعل معه؟!، إذ لا أستطيع أن أكتمه لأنّي سأتضرر به، فلا أجد أمامي إلاّ أن أخرِجه، حاله حال حنفية ماء عالية الضّغط، إن سددتها ومنعتها عن إخراج ما فيها فستنفجر حتما، وليس لي يد في هذا، فلا أعرف ما يمكن أن يفعله ذلك الكلام في المستمعين، إلا أني أدرك فقط أنهم يتأثرون به، ولماذا؟، لأنه كلام ذوقي من الشيخ ﷺ يخاطب به القلوب مباشرة، وما جعلك إلاّ واسطة، فالعبارات هي هي لا تبديل فيها، ومع ذلك يخاطب بها هذا وذاك في نفس الوقت، فالماء واحد والأطعمة مختلفة، **وليس لي من الأمر شيء**[32]، فلو غضب منّي أحدهم فإنه سيسمّى مخبولا، أي لا عقل له، وكذلك أنا لو غضبت على أحدهم لسُمِّيتُ كذلك مخبولا، فلا أغضب من أحدهم أبدا، ولهذا تعذرونني وأعذركم وانتهى الأمر.

بحمد الله.

[32] **{لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ }** (128) سورة آل عمران

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

﴿ مَنْ حَصَّلَ هَذَا وَوَصَّلَهُ فَلَا تَبِعَةَ لَهُ عَلَيْنَا فِي الْعِلْمِ ﴾

المهدية في 17 جمادى الأولى 1431هـ الموافق لـ 1 ماي 2010م.

السّارد: بسم الله الرّحمان الرّحيم. الحمد لله وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه. وفي بعض المشاهد قال سيّدنا ومولانا الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ لبعض خاصّة أحباب الشيخ ﷺ: اعلموا أنّ هذه الأشياء الّتي ستسمعونها منّي هي من أعظم العلوم النّافعة بحيث أنّ من حصّلها ووصّلها لغيره فهذا لا تبقى له عليّ تبِعة عندي أصلا ...

البيان: المراد منه: أنّ من سمع منّي هذا العلم الّذي سأقوله، ووعاه قلبه وعقله، وفهِمه وأدركه إدراكا متقنا صافيا لا غبار عليه، وقدّمه إلى غيره من الإخوان، فإنّه لم تبق له عليّ تبِعة، أي أنّه لم يبق له عليّ حقّ في العلم، أي أنّ ما سأقوله لكم هو جوهر العلم وجوهر الحقائق وهي الحقيقة الّتي تدور حولها كلّ المسائل العلميّة، وإذا صلُحت صلُح علم الإنسان كلّه وإذا فسدت فسد علمه وعمله، ألا وهو الإخلاص في الدّين، وهذه هي أمّ الحقائق الّتي تحصُل بها الفائدة، وهي كيف يعبد الإنسان ربّه ﷻ؟، وهي معاني "لا إله إلاّ الله" وهي كلّ ما أتى به النبيّون والمرسلون والعلماء العارفون العاملون وهو ما سيقوله لنا ﷺ، وقوله ﷺ "هي من أعظم العلوم النافعة" أي الّتي ينتفع بها الإنسان وليست مجرّد علم يُعلم حتّى

يقال مثلا "رجل عالم" وإنّما المقصود به هو العلم النافع الّذي ينفعنا في حالنا ومآلنا، فينفعنا الآن في الدّنيا وينفعنا خاصّة في الآخرة وهذا هو الأهمّ، فهذا هو العلم النّافع.

فقد ورد في الحديث القدسي: "**أَنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَا يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعلمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيَقُولُ اللهُ: أَلَمْ أُوسِعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جَوَادٌ وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ فَي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ كَذَبْتَ، وَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ لَهُ كَذَبْتُ، يَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلاَنٌ جريءٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ.**"[33]

فمنهم من يقول له المولى عزّ وجلّ: فعلت ذلك ليقال فلان شجاع وقد قيل، وأمّا الآن فاذهبوا به إلى جهنّم، ومنهم من يقول: يا ربّ، تصدّقتُ وأعنتُ الإخوانَ وأنفقتُ، فيقول له المولى عزّ وجلّ: كذبتَ، إنّما فعلت ذلك ليقال فلان سخيّ، وقد قيل، أي أنّك حصلت على مقصودك، وهي الأنانيّة وحبّ الرياء

[33] الحديث رقم 2489 من سنن الترمذي، عن أبي هريرة، وقد ورد في أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الباب رقم 35 وهو باب باب ما جاء في الرياء والسمعة. حديث حسن غريب.

وحبّ الظهور وحبّ السمعة، وما أردت أن يُقال فيك فقد قيل، وأمّا الآن فاذهبوا به إلى جهنّم، لماذا؟، لأنّه لم يخلص عمله لله فهلك، ومنهم من يقول له المولى ﷻ: كذبتَ، وإنّما فعلتَ ما فعلتَ ليقال فلان عالم أو فلان قارئ للقرآن، وقد قيل، وأمّا الآن فاذهبوا به إلى جهنّم، والعياذ بالله، نسأل الله أن يحفظنا.

إذًا فلُبُّ الدين هو الإخلاص في كلّ ما نفعله لوجه الله الكريم، فمن أخلص دينه لله وحده فيَكْفِهِ القليل من العمل، ومن أكثر العمل ولم يتقن النيّة فلا شيء له، ويكون بذلك قد خسر الدنيا والآخرة، فإنّما هي لحظات وسويعات وبضع مواقف نكون فيها صادقين مع ربّنا فتنفعنا، وأمّا غير هذا فالله أعلم أين النيّة وأين العمل وأين القول وأين الفعل، نسأل الله الستّار أن يسترنا

السارد: بحيث أنّ من حصّلها ووصّلها لغيره ...

البيان: وهي هذه العلوم النافعة الّتي هي من أعظم العلم، بحيث أنّ من حصّلها أي تحصّل عليها وعَلِمَها وفهمها وعمل بها وأتقنها ثمّ وصّلها لنفسه ولغيره من زوجة وولد وقريب فإنّه يربح

السارد: فهذا لا تبقى له عليّ تبِعة عندي ...

البيان: لا تبقى له عليّ تبِعة أي لا يبقى له عليّ حقّ في العلم لأنّي أكون بهذا قد علّمته العلم الكامل الشّامل النّافع والّذي من فهمه فقد فهم العلوم كلّها، وهو أن يفهم كيف نعبد الله ﷻ، فلأجل هذا بُعِثَ النبيّون والمرسلون وكلّ العلماء العارفين وهو أن يعلّمونا كيف نعبد الله، وأمّا الصلاة فجلّ النّاس تصلي وأمّا الزّكاة فإنّ أغلب النّاس يزكّون وكذلك الحج وفعل الخيرات، فكلّنا نفعل هذا ونصلي ونركع ونقرأ القرآن ولكنّ أصعب ما في الأمر هو "كيف نعبد الله؟" هو كيف تكون نيّتنا

مقرونة مع العمل وهذا هو باب إصلاح القلوب وباب إصلاح النيّات إلى حضرة المولى ﷻ فمن أصلح نيّته وأخلص دينه لله ﷻ يكفه القليل من العمل ...

السارد: فقد أدّيت ما وَجَب له عليّ ...

البيان: لأنّه ﷺ عالم، والعالم يجب عليه أن يؤدّي حقّ النّاس الّذين يكون فيهم، وذلك لأنّه عالم أعطاه الله الأمانة من العلم من ذلك النور الرباني في قلبه، فللنّاس عليه حقوق وهي أن يبلّغهم ما علّمه الله ﷻ، فالعالم لا يكون أمره خاصّا بنفسه، ولا يستطيع مثلا أن يقول: أخرج من هذه البلاد وأرتاح، فالعالم أصبح حُبسا على الأمة لأنّه قد أصبح للنّاس عليه حقّ أولى من كلّ الحقوق، ولذا كان لابدّ على العالم أن يبلّغ ما علّمه الله ﷻ عن طريق الشرائع والأنبياء والرسل وعن طريق المشائخ ولهذا يقول شيخنا هنا: من فهم هذا فلم يبق له عليّ حقّ أو تبعة في العلم لأنّ هذا هو أصل العلوم كلّها ...

السارد: الأُولى أن يعرف الفقير كيفيّة عبادته مع ربّه ...

البيان: وهي أن يعرف الفقير إلى الله تعالى على أعتاب الشيخ ﷺ كيفيّة عبادته مع ربّه وهذا هو أوّل علم وهو "كيف تعبد الله؟" ...

السارد: بحيث لا يقصد بها إلاّ وجه الله العظيم ...

البيان: بحيث لا يقصد في أيّ عملٍ إلاّ وجه الله خالصا، فكلَّما وقع مع تلك النيّة شيء آخر إلاّ وأزاحه وإن لزم الأمر ألاّ يعمل ذلك العمل جملة وتفصيلا، فيصلح نيّته في كلّ ما يعمله لله، فلا يعمله إلاّ خالصا لوجهه الكريم ...

السارد: بحيث لا يقصد بها إلاّ وجه الله العظيم وامتثال أمره ليس إلاّ ...

البيان: فكلَّما عمل عملا فلينو فيه امتثال أمر الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ فإن فعل هذا فإنّ هذا سبب في قبول العمل وسبب في الثواب والإثابة على العمل، فأمّا نيّة التعبّد لله تعالى فهي سبب في قبول العمل، وأمّا نيّة الامتثال والطاعة لأمر الله تعالى فهي سبب للثواب، فالأولى سبب لقبول العمل وهو أن تعمل العمل لله ﷻ أي لوجه الله ﷻ لا لغرض آخر والثّانية هي أن تعمل ذلك العمل –بعد أن أخلَصتَه لله– بنيّة الامتثال والطّاعة لله فيكون لك الثواب على العمل ...

السارد: وإذا أراد أن يطلب لله شيئا فليطلبه خارج العبادة ...

البيان: وهذا ميزان عظيم القدر والمقدار، فرضي الله عن سيدي الحاج الأحسن البعقيلي وأرضاه ونفعنا به وبجميع خلفائه وأحبابه آمين، فقد قال ﷺ: إذا أردت أن تطلب من الله شيئا فاطلبه من فضله ولا تطلبه في حالة العمل لكي لا تفسد عملك بنية، فإذا صليت ركعتين لله فاجعلهما لله تعبّدا خالصا لوجهه، وإذا ذكرت وظيفتك فاجعلها لله خالصة تعبّدا وامتثالا لأمره، وكذلك إن زكّيت أو تصدّقت أو أطعمت الطعام فاجعل ذلك كلّه لوجه الله، وأمّا إذا أردت أن تطلب ربّك فاجعل ذلك في أوقات أخرى وفي أماكن أخرى، فاطلب الله من فضله ولا تطلبه بذلك العمل، فإذا أنفقتُ دينارا من هنا وطلبتُ طلبي من هناك فالمراد منه أنّي أسأله ﷻ طلبي بذلك الدّينار، بل أنفقه لله ولامتثال أمر الله ثم انسى ذلك وافرح لأنّ الله وفّقك، ثم اطلب الله من فضله، فإذا أردت أن تطلب الله فاطلبه في أيّ وقت كان واسأله من خزائن فضله وجوده وكرمه لا بعملك، حتّى يصفو لك المشرب نهائيّا، وذلك حتّى تصبح أعمالك كلّها خالصة لوجه الله وتكون طلباتك من الله معوّلة على فضل الله لا على عملك فيصفو لك المشرب ...

السارد: من حيث الفضل لا من حيث الاستحقاق

البيان: من حيث الفضل لا من حيث الاستحقاق لأنّنا لا نستحق على ربّنا شيئا أبدا وإنّما خلقنا ﷻ من باب الفضل وجاء بنا من باب الفضل وأعطانا الإسلام وما أدراك ما الإسلام من باب الفضل وجعلنا من أمّة سيّدنا رسول الله خاتم الأنبياء والأرسال إطلاقا من باب الفضل وأعطانا هذا الذكر العظيم القدر والشأن من باب الفضل وعرّفنا وجعلنا نحب هذا الشيخ الهمام سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين من باب الفضل فكلّ ما فعله ﷻ هو من باب الفضل، فلنسأل الله ﷻ من فضله كما بدأنا بلا سبب ليتمّنا بلا سبب، فنطلبه وندعوه من باب الفضل، لا من باب الاستحقاق، كقولك: لأني أمس أطعمت الطعام أو لأنّي بالأمس صليت ركعتين وقت الضحى، فهذا ميزان عظيم القدر لمن أراد أن يفهمه ويطبّقه في حياته ...

السّارد: الثّانية أن يعرف الكَون وما هو وأن لا يشغله عن الله وأنّه كحجر ثلج أوّله ماء وآخره ماء وظاهره وباطنه ماء ...

البيان: وهو أن يعلم أنّ الأكوان كلّها حقيقةً لا وجود لها في الخارج ولا وجود لها وجودا حقيقيا وإنّما الوجود الحقيقي هو لله وحده ﷻ فكما قال ﷺ في الحديث: **"اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ"**[34]، فليكن الفقير لله عابدا لربّه كأنّه يراه، فلا يرى إلاّ الله ولا يرى غيره أبدا، فالكونُ من حيث هو إنّما أصله الماء، ظاهره ماء وباطنه ماء، وكلّه كحجر الثلج، فإنّما الوجود الحقيقي هو لله ﷻ وحده فمن استحضر هذه النيّة فإنّه يصبح في مقام الإحسان دائما، وهو أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، فليعلم الفقير إلى الله تعالى على يد الشيخ رضي الله عنه هذه المسألة وليجدّد هذا الفهم دائما وهو أنّ هذا الكون الّذي تراه إنّما هو سراب حتّى يتراءى لك

[34] أصل الحديث: **"اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة"**. لأبي نعيم في الحلية عن زيد بن أرقم. حديث حسن.
وفيه أيضا: **"اعبد الله كأنك تراه، وعدّ نفسك من الموتى، وإياك ودعوات المظلوم فإنهنّ مجابات، وعليك بصلاة الغداة، وصلاة العشاء، فاشهدهما، فلو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوًا"** أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء وهو حديث حسن.

القرب الإلهي وتخرج من الغفلة إلى الحضور فليجدّد الإنسان النيّة وليتذكر دائما أنّ الكون كلّه ماء فأصله ماء من الأسماء الإلهية والأسماء الإلهية راجعة إلى الاسم "الله" إذًا فلا إله إلاّ الله، وهذا معناهُ تحقُّقُ معنى "لا إله إلاّ الله" وهو لا موجود على الحقّ أو على الحقيقة إلاّ اللهُ وليس ثمّة إلاّ تجلّيات أسمائه والأسماء كلّها من الماء ...

السّارد: الثالثة أن يعرف الفقير أنّ المؤثّر والفاعل هو الله بحيث لا تأثير لنبي فما دونه إلاّ بإذن الله في جميع الانفعالات ...

البيان: وهذه تتمّة لما قبلها، وهي أن يعلم الفقير إلى الله تعالى أنّ التأثير الحقيقي إنّما هو لله وحده، فأنت سنّي، والسنّي يعلم أنّه لا تأثير إلاّ لله، ولا فاعل إلاّ الله، ولا مؤثّر ولا مقدّر ولا حاكم إلاّ الله، وهنا يأتي إعطاء الوسطيّة للوسائط، وهو النّظر نظرة وسطيّة للوسائط، لأنّ الواسطة من شيخ ونبيّ ليس هو الله، وليس هو المؤثِّر وليس هو الفاعل، فالفاعل هو الله وحده ﷻ أزلا وأبدا، وإنّما الوسائط تبلّغ وتؤدّي ما أمرَتْ به من حضرة ربّها، فكلّ ما أمر الله ﷻ به نبيّه ﷺ أن يفعله وأن يتصرّف فيه وأن يبلّغه للنّاس فقد فعله ﷺ، "**أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ**"[35]، وأمّا التأثير الحقيقي فليس لأحد مهما كان مقامه وإن كان رسولا أو نبيّا، وإن كان رسول الله ﷺ، فما هو إلاّ عبد لله مأمور أن يبلّغ شرع الله على الكيفيّة الّتي علّمها الله إيّاه، ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى**﴾[36]، ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾[37]، ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء**﴾[38]، فالواسطة إنّما هو واسطة تُوصِلُ الخير إلى المبلّغ الّذي هو نحن، ولكنّ الواسطة لا تكون هي عين الفاعل، فالفاعل الحقيقي ليس إلاّ الله ﷻ في كلّ صغيرة

[35] أصل الحديث ما أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، الباب 2 باب باب حرمة دم المؤمن وماله، الحديث رقم 3931، عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) في حجة الوداع قال: "**ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا. ألا وأن أحرم الشهور شهركم هذا. ألا وإن أحرم البلد بلدكم هذا. ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟**)) قالوا: نعم. قال ((اللهم! اشهد)).

[36] (17) سورة الأنفال

[37] (22) سورة الغاشية

[38] (56) سورة القصص

وكبيرة، فلابدّ للفقير أن يستحضر هذا مع تعظيم الوسائط التعظيم التّام الكامل والنّظر إليها أنّها سبب في وجوده وسبب في خيره وسبب في رزقه وسبب في كلّ شيء، ولكنّ الفاعل هو الله ﷻ، الهادي هو الله، ورسول الله ﷺ وجميع المشايخ إنّما هم وسائط خير ووسائط هداية، وأمّا فعل خلق الهداية فهو من الله، فإذا جمع الفقير هذه العلوم الثلاثة وتفهّمها وعمل بها فإنّه يكون في مرتبة عظيمة كاملة في مقام الإحسان، وأوّلها أن لا يقصد أيّ غرض في عبادته لله ﷻ، ولا يطلب حوائجه عند تلبّسه بالعبادات وإنّما يطلبها من فضل الله خارج العبادات، وأن يعلم أنّ هذا الكون ليس فيه إلاّ الله وإنّما هو حجر ثلج أوّله ماء وآخره ماء وظاهره وباطنه ماء، ثمّ ليعلم أنّ الفاعل الحقيقي الأزلي إنّما هو الله وحده ﷻ ولا يكون غيره أبدا، لأنّ كلُّ من كانت له مرتبة فهي مرتبة مُفاضة عليه من الله كنبوّة ورسالة وقطبيّة وغيرها فهو واسطة ولكنّ التأثير والفعل الحقيقي إنّما هو لله، فلا يؤثِّر سحر ولا يؤثِّر شيطان ولا يؤثِّر وليّ ولا غيره حقيقةً، وإنّما التأثير من الله، ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾[39]، فمن علِم هذا العلم وتحقّقه وركّز عليه وفهمه وطبّقه في حياته وقاله لأحبابه وأقربائه فإنّه لم يبق له حقّ وتبعة على الشيخ البعقيلي رضي الله عنه، وكأنّه رضي الله عنه يقول: ألا هل بلّغت، اللّهمّ فاشهد، ونسأل الله أن يعيننا ويعينكم على طاعة الله، ونسأله ﷻ أن ييسّر أمورنا وأن يفتح أبواب الفهم وأن يعمّر هذه الدّار عمارة مكّة والمدينة وأن يعمّر هذه البلاد عمارة مكّة والمدينة، ونسأله ﷻ أن ينشر لواء رحمته الربّانيّة على قبر الشيخ الهمام سيّدنا ومولانا أحمد التّجاني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين وبجميع خلفائه وأحبابه وعلمائه.

اللّهم اهدنا في من هديت وعافنا فيمن عافيت وتولّنا فيمن تولّيت وكن لنا ولا تكن علينا، اللّهمّ صلّ على سيدنا محمد صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا

---

[39] {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } (112) سورة الأنعام

والتيسير وتغلق عنّا بها أبواب الشرّ والتّعسير وتكون بها لنا وليّا ونصيرا أنت وليّنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد الفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الحَقِّ بِالحَقِّ وَالهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ المسْتَقِيمِ وَعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

البيان: مازال هنالك مسألة أخرى، نقرؤها من باب التذكير فقط، وهي عن حقوق الأخوّة بيننا وبين الإخوان ...

السارد: بسم الله الرحمن الرحيم، قال سيّدنا الأحسن البعقيلي ﷺ في شروط الإخاء ...

البيان: أي ما هي شروط الإخاء والأخوة بيننا؟، فلا تستطيع أن تقول مثلا لأحد الإخوان: أنت أخي وأحبّك، ثمّ يصير ما يصير بينكما لا قدّر الله، فهناك شروط للإخاء لابدّ من مراعاتها ...

السّارد: أنّها ستّة نقلا عن سيّدنا الحاج الحسين اليفريني ﷺ؛ دوام صفاءٍ مع وفاءٍ وعقدها ...

البيان: دوام صفاءٍ أي لابدّ أن تكون القلوب والعيون صافية ومحبّة لبعضها البعض وهذا ممّا يظهر في العيون، فمن أحبّك فإنّ ذلك يظهر في بصره وفي لمعان عيونه[40]، ومن كان فيه شيء غير ذلك فإنّه كذلك سيظهر، ولذا يقول ﷺ: "**اتَّقُوا**

[40] شهد بعض من الفقراء الّذين حضروا هذا اللقاء مع سيدي الحاج الحبيب ﷺ أنّه حينما نطق بهذه الكلمات عن العلاقة بين المحبّة ولمعان العيون كانت عيونه ﷺ تلمع كأشدّ ما يكون اللّمعان ثمّ جال ببصره في جميع وجوه الفقراء الحاضرين يومها.

فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنظُرُ بِنُورِ اللهِ"[41]، والمراد منه إنّك إن لم تكن معه كما يجب أن تكون فتجنبّه يكن ذلك خيرا لك، لأنّه ينظر بنور الله، إذًا قال ﷺ: دوام صفاء مع وفاء لبعضنا البعض، وهو الوفاء المعروف ...

السارد: وإسقاط حقّ ...

البيان: وإسقاط الحقّ هو أعظم الشّروط وهو الجوهرة في هذا العقد ...

السارد: مع دعاء بغيبة ...

البيان: وهو أن تدعو لمن تحب بالخير دائما وتتذكّره كذلك بالخير دائما، له ولجميع المسلمين، ويكون ذلك بغيبة، لأنّ أعظم الدعاء المستجاب هو دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب[42]

السارد: ثناء وذبّ مع مجانبة القالي ...

البيان: والقالي هو الّذي يتكلّم في أعراض النّاس ...

السارد: وعدم سماع فيه شرط أخوّة دوام وفاء للوداد نداؤه بأفضل ما له من اسم وكنية ...

البيان: فإذا أحبّ هذا الفقير مثلا أن نناديه بـ"أبو أحمد" لأنّ ابنه اسمه أحمد، وهي كنية عزيزة عليه وتفرحه كثيرا، فعلينا أن نناديه: يا أبا أحمد، وإن كانت له كنية أخرى لا تعجبه فلا نناديه بها لأنّها تغضبه، وهذا لا يكون، إذًا فهذه الشروط: دوام المودّة ودوام الصفاء وإسقاط الحقوق والدعاء له بظاهر الغيب ومداومة الوداد والوفاء ونداؤه بأحسن الأسماء وبما يعجبه من الكنيات، وأمّا إسقاط الحقوق فهو

---

[41] للبخاري في التاريخ وللترمذي عن أبي سعيد والحكيم وسمويه وللطبراني في الكبير ولابن عدي في الكامل عن أبي أمامة بن جرير عن ابن عمر.

[42] أخرج ابن ماجه في سننه، في كتاب المناسك، الباب الباب 5 وهو باب فضل دعاء الحاج، الحديث رقم 2895، وفيه عن أب الدرداء وعن أم الدرداء أنّ النبي (ص) كان يقول: **((دعوة المرء مستجابة لإخيه بظهر الغيب. عند رأسه ملك يؤمن على دعائه. كلما دعا له بخير قال: آمين، ولك بمثله))**

الجوهرة في هذا العقد، وما معنى إسقاط الحقوق؟، هو أن لا ترى لنفسك على صاحبك حقًّا، أنصفه ولا تستنصفه، أي قم بواجبك معه كما ينبغي، فهذه هي الشّهامة وهذه هي المروءة، ولكن لا تطالب بحقوقك، لأنّ مثلك مثله، لا فرق بينكما، وأعظمها عند المقدّم، فما أنت أيّها المقدّم إلاّ واسطة وما الطّريقة إلاّ طريقة الشيخ ﷺ وأما المعطي فهو رسول الله ﷺ، فإذا أعطيت الطّريقة لفلان اليوم ولم يقض لك حاجة من حوائجك بالغد فلا ترى لنفسك عليه حقّا لأنّك لقّنته الطريقة أو علّمته العلم، بل أسقط حقّك كمقدّم، وانس حقّك كأب وانس حقّك كشيخ، فإذا فعلت ما فعلته لله فدعه لله، فلا تر أنّ لك عليه حقّا، وهي في الحقيقة حقوقٌ لكنّ بينك وبينه مودّة فأسقط تلك الحقوق لأجل تلك المودة، فلا يكون لي عليك أيّ حقّ وما عملته لوجه الله فإنّي أنساه، فإذا ساعدْتَني أدعو الله لك أن يجازيك خيرا وإن لم تقدر أن تساعدني فأظلّ أحبّك وأعتبرك صاحبي وكأنّ شيئا لم يكن، وتبقى بيننا الأخوّة، وهكذا يكون دوام الأخوة، فلا نتصيّد لبعضنا البعض العثرات ونعدّدها، كقولك: منذ سنوات ساعدتك في أمر كذا وها أنت الآن لا تساعدني في هذا الأمر، فهذا لا يكون، إذًا فهذا هو إسقاط الحقوق وهو أن لا ترى لنفسك على صاحبك أيّ حقّ، فأحسِنْ إليه، ومن أحسنَ لك فشاهد ذلك من الله ومن الوسائط، ولا تطلب حقّك.

فقير: سيدي، تحدّثنا هنا عن النيّات قبل العمل، وهي أن يجعل الفقير نيّة ذلك العمل خالصة لله، فإذا –لا قدّر الله– عملَ الفقيرُ عملاً لغير وجه الله ...

البيان: فليتدارك، وليقل: يا ربّ إنّي نويت ذلك العمل لوجهك الكريم، وأنا تائب منه لك، فيكون العمل معلّقا عند الباب المسدود فيدخل بعد إصلاح نيّته، لأنّ ذلك العمل حينما أراد به صاحبه غير وجه الله فإنّه يسير في اتجاه الباب المسدود، فيقف العمل ويقف صاحبه عند ذلك الباب، أي لا يدخل العمل ولا

يدخل صاحبه، لأنّه قصد به غير الله، ولذا قال الله تبارك وتعالى: **"أَنَا أَغْنَى الشُرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"**[43]. فالله أغنى عن الشركة والشركاء، ولا يقبل ﷻ إلاّ ما كان لوجهه الكريم، فالله غني، وأنت تريد أن تعطيه رشوة، حاشى لله، وهو الذي يعطينا من باب فضله، فهذا لا يكون، فيبقى بذلك العملُ معلّقا حتّى يتوب صاحبه ويقول: يا ربّ سامحني وهذا لوجهك الكريم، فيمرّ ذلك العمل بأن يُفتح له الباب فيدخل ويدخل صاحبه ...

فقير: سيدي، بخصوص استحضار النيّة عند العمل ...

البيان: يتدرّب عليه الإنسان قليلا فقليلا حتّى يتعلّم كيف يعمل لله وحتّى يذوق ما معنى العمل لله كما كان أشياخنا ﷺ، فترى الواحد منهم ناعما كالحرير، ولهذا إذا رأيت العارف بالله سيدي محمّد القمار ﷺ فإنّك تنسى الدنيا والآخرة فتذوب وتنجذب إليه بكلّيتك، لماذا؟، لأنّه ناعم نعومة الحرير، لأنّه عبدٌ كلّه لله، فترى فيه العبوديّة مجسّمة، وبماذا ربحنا نحن؟، بعبوديّته ﷺ، فإنّما يقع التّصريف بعبوديّته ﷺ لا بشيء آخر، وإنّما هم قد تعدّوا التصريف وتعدّوا المراتب كلّها، ولكنّ العبودية أعطاها له المولى ﷻ في تذلّله وفي معرفته بالله تعالى وفي محبّته لله وفي محبّته للخلق فلا يرى إلاّ الله، فإذا ما رأيته بأمّ عينك فإنّ هذه العبودية هي الّتي ستخرج لك، أو إذا ما قربت منه أو شممت ريحه فإنّه سيأخذ بمجامع قلبك وسيحملك معه إلى الله، فيطهّرك كالفيض الأقدس، فمجرّد أن تقربه أو تجالسه فكأنّك تعرّضت لموجات من الماء موجة بعد موجة فتطهّرك تطهيرا بعد تطهير إلى أن تثبت في حضرة الله وإلى أن تتذوّق معنى العبودة والعبودية لله، فمن تذوّقها فلا يتعِب نفسه بأن يستحضر النيّات لأنّه قد أصبح كلّه عبدا لله ...

[43] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، الباب 5، باب من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة: باب تحريم الرياء)، الحديث رقم 2985، عن أبي هريرة.

فقير: سيدي، ألا يستطيع الإنسان أن ينوي جميع أعماله مجملة لوجه الله؟

البيان: ولهذا علّمنا ساداتنا ﷺ أن نجعل كلّ عمل نعمله هديّة لحضرة رسول الله ﷺ نيابة عن الشيخ من صلاة وزكاة وذكر، هذه هديّة منّي إليك يا سيدي يا رسول الله نيابة عن الشيخ أحمد التّجاني، وقد قال سيدي محمّد القمار ﷺ في ما معناه: تكون بهذه النيّة قد اطمأننت عليها بأن وضعتها في حجر النبي ﷺ وهو سيربّيها لك، ويربّيها لك أي يزيدها خيرا على خير على خير، وذلك بأن أبعدها عن فكرك، فلا تقول: البارحة صلّيت، أو ذكرت، أو عملت كذا، فاعمل الخير وانساه

فقير: سيدي، يعمل أحدنا عملا لا يبتغي فيه إلاّ وجه الله، ولكن قد يُمدح ذلك الإنسان بذلك العمل فيشعر بالفرح فهل ينقص هذا من ذلك العمل شيئا؟

البيان: إذا تكلّم عن عمله فقد أذهب تسعة أعشاره وإذا عمله رياءً فقد أذهب العمل بكلّيته، وأمّا إن صادف مرّة فقال له احدهم: بارك الله فيك أو هذا عمل جيّد، فليسمعها من الله لأنّها ستزيده شجاعة وقوّة وحرصا على فعل الخير فقط، ويبقى دائما عبدا من عباد الله ...

فقير: كيف يتّقي الفقير الرياء ليخلص نيّته لله من أوّل الأمر وخاصة مع وجود الهواجس ...

البيان: عليه أن لا يهتمّ بالهواجس، لأنّ الفقير يكون مهتمّا بالله لا بالهواجس، فعليه أن يحقر هذا الهواجس ولا يهتمّ بها، فلا تهتمّ إلاّ بالله ولا تجعل أكثَرَ تركيزك مع الهواجس، وأكثِرْ من الصَّلاة على النّبي ﷺ واهتمّ بذكرك واشتغل بما ينفع من طلب العلم وتلاوة القرآن وإعانة الإخوان والجار والزوجة والأب، فعلى الإنسان أن يتحرّك باستمرار ولا يترك وقته للأفكار التّافهة، بل يجب أن يكون كلّ

وقته وأنفاسه عبادة وعملا ونية صالحة فلا يهتم بغير هذا فلا يجد حينئذ هواجسا لأنّه لم يترك لها الوقت، بل وقته بين الذكر والتّلاوة والعمل والصّلاة على النبي ﷺ والأكل والشرب والاهتمام بتلك الحديقة وإصلاح هذا الباب، فلا يركن أبدا للراحة لكي لا يبرد ويفتر، فيكون كالماء، سائلا عذبا ...

فقير: سيدي، وإن نوى الواحد منا ذلك العمل على لسان سيدي محمّد القمار رضي الله عنه أو سيدي الحبيب رضي الله عنه أو سيدي الأحسن رضي الله عنه ...

البيان: وهي نيّة واحدة أخذناها عن مشائخنا فنَوَيْنا أذكارنا وأفكارنا ببركتهم وبوساطتهم رضي الله عنهم وأرضاهم عنّا ونفعنا بهم آمين، وهي نيّة واحدة في مرّة واحدة فلا نكرّرها كلّ يوم، وليعملِ العملَ لله وليترك الأمور تسير بطبيعتها.

بحمد الله تعالى.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

التَّأَدُّبُ وَالعِلْمُ

البيان: إذا كَثُرَتِ المعَاصِي أَوْ كَانَتْ هُنَاكَ كَزَازَةٌ فِي القلب فلم يكن صافيا كما يجب أن يكون، حينئذ يُبتلى الإنسان، وبماذا يُبتلى؟، يبتلى بعدم التّوفيق وهو أخطر من كلّ شيء، أو قد يُبتلى ابتلاءات أخرى، فلابدّ للإنسان أن يكون قلبه متوجّها توجّها صافيا حقيقيا لا ريب فيه ولا شك، ويجدّد النيات دائما ...

فقير: سيدي، وكيف يكون تجديد النيات؟ ...

البيان: بأن يجدد النية مع شيخه ومع عامة الفقراء ومع عامة المسلمين، وبأن يراجع نفسه، وكمثال على ذلك: ذُكر البارحة أمامك فلان، ولم تنتبه فقلت عنه كلاما غير مقبول، أو حتّى إن لم تقل شيئا واستنقصت من قيمته في قلبك، فإنّه يبتليك الله ﷻ بسبب ذلك، لكي تتعلّم الأدب، لأنّك حقّرته أو استنقصت من أمره أو قلت كلاما في غير محله، فمن هنا وجب على الواحد منا أن يأخذ حذره من هذه الأمور، لأنّ الكلام سهل فكلّنا نقرأه ونعرفه، إذن فما هو الصعب في الأمر؟، أصعب ما في الأمر هو التطبيق، ولماذا ليس هناك تطبيق؟، لأن هناك النّفس، فالنفس لا تريد أن تسلم، فحين يظهر لها أنّها ستسلم وتنقاد وتكون كالميّت بين يدي غاسله، يظهر لها في ذات اللحظة أنها قد نقّصت من قيمتها، فترى الإنسان يريد أن يكون له شيخ يقتدي به وفي نفس الوقت لا يريده أن يتحكّم فيه، أو ربّما يغضب منه إن قال له: لا، أو قال له: هذا الأمر لا تكون

هكذا، فيردّ على شيخه إمّا جهارا أو بالقلب فتسمى كزازة، أو قد يحقره أو يحقر كلامه ولا يحترمه، فيتضرّر، لأنّ من لا يحترم شيخه يصيبه الضرر لا محالة، وهذا شأن الله ﷻ، وأما المشايخ فكما قال فيهم ﷺ: "**الشَّيْخُ فِي أَهْلِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ**"[44]، ولماذا؟، لأن الشّيخ يعلم سنة رسول الله ﷺ، فلا تسمع منه إلاّ: قال تعالى وقال ﷺ، وبالتّالي وجب تعظيمه، لأن ذلك من تعظيم شعائر الله، ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[45]، فلابدّ من تعظيمه، فإن احتقرته فإنّ الله ﷻ سيضرك، لماذا؟، لأنك أسأت الأدب مع أولياءه ومع أحبابه، فليأخذ الإنسان حذره من هذه المسألة، وأخطر ما فيها هو عدم التّوفيق، فلا يوفّقك –لا قدر الله– لا لقراءة الوظيفة ولا للذّكر، وهو أمر عسير للغاية، فيُسلَبُ الإنسانُ الّذي ليس له الأدبُ التوفيقَ في الفهمِ، ويُسلَبُ لذَّةَ فَهْم الخطاب، ويُسلَب لذة المعيّة الإلهيّة فلا يحسّها، وهو أكبر سلب على الإطلاق، فإن كان من المحبوبين فقد يعسّر ويضيّق عليه في الدنيا، فذلك بالفعل يسمّى محبوبا أي أنه ﷻ يريد أن يرجع به إلى الطّريق الصواب، وأما إن تُرك وما يفعلُ فهو هالك والعياذ بالله، فتراه يخلط ويخلط ولا يلتفت إليه أبدا فالمراد منه أنه غير محبوب، فكأنما قال له: افعل ما تشاء فإنك غير محبوب عندي فلا أنصب لك حراسة ولا أهتم بك، حاشى لله، فهذا على سبيل المثال لا غير، وأما إن كنت محبوبا فسينصب لك حراسة وما إن تخرج عن الطريق من هنا أو من هناك فإنه يوقِفك مباشرة، وتلك علامة المحبة، أي أن المراد منه أن ذلك الشخص محبوب ومقبول ومطلوب إلى الحضرة الإلهيّة، ومجذوب إليها جذبا، أي أنّ الحضرة الإلهية تطلبه، وأن هناك خيرا عظيما سيأتيه من الله ﷻ ولابدّ بالتالي من أن يجرّده قبل أن يأتيه ذلك الخير، ولا يمكن لهذا الخير أن يحلّ فيه حتى يتجرد من نفسه، لأنهما لا يجتمعان معا في مكان

[44] أخرجه ابن النجّار عن أبي رافع والخليلي في مشيخته وأورده السيوطي في الجامع الصغير تحت عدد 4969
[45] (32) سورة الحج

واحد، وأما الذي مازال يقول "أنا" وينتظر أن يأتيه ذلك الخير من الله ﷻ فهذا من ضرب المستحيل، فيستحيل ذلك أبدا إلا إن سلّم نفسه كالميت، فينظّفه ويغسله ويغربله ويقرّبه ويبعده ويضربه ويفرح به كما يشاء، وهو لا يجد ذلك إلاّ سمنا وعسلا، عند ذلك فقط يمتحنونه، وإن كان غير هذا فهُم ﷺ لا يتساهلون في مثل هذه الأمور، وقد قال سيدي الحاج القمار ﷺ في ما معناه أنّ سيدي الحاج الأحسن ﷺ أعطاه أمانة ليوصلها إلى العارف أحمد ﷺ فلم ينظر ما بداخلها ولم يحاول الاطّلاع عليها، ثمّ اكتشف بعد ذلك أنّ المسألة ككلٍّ ليست إلا امتحانا من شيخه، فلو فتحها ليعرف ما فيها لما كان سيدي الأحسن ﷺ شيخا له، لأنّه حين يفعل ذلك فإنّه لم ير فيه شيخا له بل رآه شخصا عاديا[46]، والشّيخ لا يكون إلاّ هكذا، وهي مرتبة من عند الله ﷻ كمراتب النّبوّة، فالرسول ﷺ هو الّذي يفيض عليهم من علوم القرآن وعلوم الحديث ذوقا وتفصيلا لكي يقرّبوها للناس، وكمثال ذلك العلماء العارفون بربهم تجدهم قد حبّسوا أعمارهم على خدمة المسلمين، وهي خدمة تكون جيلا بعد جيل، وما كان سيعمله عديد الأشخاص يؤدّيه عنهم الشّخص الواحد، ثم يمرّر ذلك لشخص آخر أو لبضعة أشخاص، وهكذا يقوم الواحد بخدمة الآلاف، وذلك من قوّة تعاون المسلمين مع بعضهم البعض، ثمّ بعد ذلك تأتي سيادتك فتنظر إليه بعين النقص أو تقول فيه ما لا يجب أن يقال في حقّ أمثاله، فلا يأتيك الخير أبدا بل يظلّ معلّقا يريد أن يأتيك لكنّ نيتك هي التي تمنع عنك ذلك الخير، ومنه ما يكون في مجالس العلم الخاصّة بكم، فلو أمكن لكلّ عالم أن يعلّم هذه الكلمة للتّلاميذ وطلاّب العلم والعلماء الّذين معه ويتركها فيهم بأن يورّثها لهم، نسأل الله أن يطيل أعمارنا جميعا، وهي كلمة عظيمة جدّا غالبا ما ينساها العلماء، ألا وهي كلمة "لا أدري"[47]، فربّما ترى الفقير

[46] تحتاج هذه المسألة إلى مزيد التحقيق لعدم جودة الصوت أثناء التسجيل.

[47] قال (ص): العلم ثلاثة : **"كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدري"**. تخريج السيوطي الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر.

أو التّلميذ أو الإنسان المتعلّم إذا سأل شخصا مّا وأجابه بـ"لا أدري" قد يستنقصه، بل وقد يسأل نفسه كيف لفلان أن يقول "لا أدري"؟ وأنا الّذي كنت أظنّه عارفا أو كنت أظنّه قطبا، فكيف يجيبني بـ"لا أدري"؟، وفي الحقيقة فإنّ كلمة "لا أدري" هي من أعظم العلم، وهي علم عظيم جدا، فـ"لا أدري" ربما تعني أنّه لا يجب لك أن تعرف الإجابة وقتها، و"لا أدري" ربّما تعني أنه يجب عليك أن لا تسأل عن تلك المسألة وقتها، و"لا أدري" ربّما تعني أنك وقتها غافل عن الله تعالى وتسأل عن أشياء لا تهمّك جملة وتفصيلا، فالمقدّم عليه أن يجذب قلبك إلى الله، وحين يرى ذلك ضروريّا قد يجذبك إلى الأحكام الشرعيّة، لكنّ جلّ عمله هو أن يجذب قلبك إلى الله تعالى، وأمّا في ما يخصّ الأحكام الشرعيّة فاذهب إلى أهلها من العلماء وهم موجودون، فهي ليست من عمل المقدّم حتّى وإن كان إماما في الأحكام الشرعيّة، بل عمله أن يرى بمرآة صفاء قلبه ما يصلح حالك وما يضرّك وما يشغلك عن الله وكيف يتشتّت قلبك وكيف تتّبع الأوهام وتتعلق ببعضها فتأخذك بعيدا عن حضرة مولاك، فيأخذ بجمع قلبك ولبّك على الله شيئا فشيئا فيحبّب الله إليك ويحبّبك إلى الله ويشفع لك عند الشّيخ ﷺ وعند رسول الله ﷺ ويُغير عليك بهمّته ويُفيض عليك ممّا أفيض عليه من حضرة القدس والطّهارة حتّى تكون عبدا مشمولا بالعناية والكفالة الربّانيّة وهذه هي مهمّته، وأمّا غير هذا فالعلماء أصحاب الأحكام موجودون، وكلٌّ له مهمته، فهناك فرق بين المربّي والفقيه وإن كان –كما قال الشيخ ﷺ– إماما في المراتب الثّلاث لكن أُنسه وجلُّ وقته ومَدارُه إلاّ في المعرفة بالله تعالى، وربما يقول "لا أدري" فيستنقصه السائل وكلّما استنقصه وَقَفَ مدده في الوقت والحين، وربما يكون فعلا لا يدري، سبحان الله، فدعه حتّى يحقّقها ويبحث ويراجع تلك المسألة ثمّ يجيبك، فجازاك الله كلّ خير أنّك سألته، فبذلك يكون قد نبهه الله ﷻ ونبّهه الشّيخ ﷺ إلى تلك المسألة بالذّات حتّى يحققها إذ لا يعلم كلّ هذه العلوم بأسرها من كلّ وجه إلاّ القطب الجامع، والقطب الجامع في كثير من المسائل

قد يعطيك الإجابة ولكن قد تكون حين سألته مقتنعا بفكرة مّا، أو ربّما لم تعجبك إجابته أو قوله –وإن كان قوله هو القول الحقّ– أو قد تحدث له مشكلة مع الإخوان بأن تقول له: ها قد قال لي الإمام الفلاني كذا وكذا، فهذا يكون فيه ضرر كبير وإن كان قطب الزّمان، لكن ليس بشرطه أنّه سيفتيك في جميع المسائل الفقهيّة العلميّة، فلو أراد أن يخرج ما عنده فإنه يفعل، وأما أن تسأله فربّما لا يجيبك، وهذه قد رأيناها معاينة في أناس أقطاب ﷺ وهذا يدخل في باب آخر من المعرفة، وهو باب أنّ من اتّخذ قدوة أو شيخا فليجعل فيه نيّة صالحة، لأنّه لا يقول إلاّ الحقّ في جميع المسائل جملة وتفصيلا، ثمّ عليك بتعلّم العلم لأنّك حين اتّخذته قدوة فإنّه يوجّه قلبك إلى الله ﷻ وأمّا العلم فعليك بتعلّمه وحدك، وكمثال ذلك شخص له جبيرة ويريد أن يعرف حكمها فعليه إذن بكتب الفقه ككتاب الخلاصة الفقهيّة[48] فهو مبسط، وهو على شكل أسئلة وأجوبة، فتجد سؤالا عن الجبيرة ثمّ الجواب عن ذلك ثم في آخر الأمر يضع خلاصة لموضوع الجبيرة ككل، وكذلك المسح على الخفّين، سؤال فجواب ثم خلاصة عامة عن المسح على الخفين، وذلك لأنك قد ترى البعض قد وضع جبيرة منذ عدّة أيّام ثمّ جاء ليسأل عن حكمها فيسمّى مخلاّ ومتهاونا، وكلّ من لم يطّلع على أحكام الصّلاة والوضوء يسمّى كذلك متهاونا، لذلك عليك بقراءة العلم ولا تنتظر أن تقابل فلانا بعد مدّة طويلة لعلّه يجيبك عن مسألة معينة، اقرأ العلم لأنّ لك عينين وعقلا وفهما وتعرف الحروف العربية، فماذا ينقصك كي تتعلّم العلم، واسأل الناس المحيطين بك والّذين هم بصدد التّعلّم وتحدث معهم في أمور العلم، فهكذا يكون العلم، وهو أن نتشارك في المعلومات والمسائل ونناقشها دون غضب أو قلق أو رؤية شفوف مرتبة لهذا على ذاك، فكلّنا إخوان في الله، عباد الله إخوانا، وهذا يكون بين الّذين لهم ملكة علميّة فيزيد التنافس بينهم، وأما الّذي يبقى كما هو، لا يسأل ولا يتعلّم،

[48] المقصود هنا هو كتاب (الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية) لصاحبه (محمد العربي القروي) والله أعلم.

فربّما تأتيه المعلومة مرّة في عمره وربّما لا تأتيه، لأنّه لم يقرأ ولم يتعلّم، وهذا لا يكون، **"طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"**[49]، **"اطْلُبُوا العِلْمَ وَلَوْ بالصِّينِ"**[50]، **"عَلَيْكَ بِالعِلْمِ فَإِنَّ العِلْمَ خَلِيلُ المُؤْمِنِ"**[51]، **"أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَصْلاَتٍ يَنْفَعْكَ اللهُ بِهِنَّ، عَلَيْكَ بِالعِلْمِ"**[52]، وانظر ماذا قال ﷺ أيضا: **"مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ"**[53]، فانظر إلى هذا الحديث، إذ لو يتمعّن الإنسان في معنى "سَهَّلَ" لوجد المرادَ منه أنّ عين فعل طلب العلم هو عين بداية الدّخول في جنان المعرفة بالله تعالى، فانظر إلى طلب العلم وإلى قيمته، وانظر إلى النّاس تمرّ بهم اللّيالي والأيّام وهم يمرحون ويأكلون ويشربون في حين لا يعتنون بطلب العلم أو تكون عنايتهم به ناقصة قاصرة مع أنّه واجب، فتعلّموا العلم قبل أن يرفع، ولابدّ من طلب العلم حتّى إذا ما تحدثّ الإنسان مع الإخوان فإنّه يتحدّث معهم في مسائل ذات مستوى عالٍ في العلم والمعرفة، فيرفع نفسه ويرفع إخوانه، وهكذا يرفع الجميع بعضهم البعض، فترفعني وأرفعك، وهكذا يكون الأمر حتى يكون الإخوان في ما بينهم أقواما يرفع بعضهم البعض وربّما نقرأها مرة أخرى في قول الشيخ رضي الله عنه في تفسير قوله ﷺ كان جبريل يدارسني القرآن مرة كلّ رمضان فأرانا الشيخ رضي الله عنه كيف أنّ الإنسان ينتفع من نفسه وينتفع من سامعه وينتفع من قراءته، فإذا قلنا يا فلان اقرأ علينا ما تيسّر من سورة طه على سبيل المثال، فإذا قرأها ونحن نستمع فقط فإنّنا ننتفع بسماع هذه الآيات فتحصل لنا علوم وأسرار ومواجيد وفهوم عظيمة القدر والمقدار، فذلك الفهم هو المعرفة الّتي تحصل بها الفائدة، فاعلم من ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قد أهداك معرفة ولست أنت العالِمَ وإنّما الله هو الّذي أهدى لك معرفة بالله تعالى

---

49 لابن عدي في الكامل وللبيهقي في شعب الإيمان كلاهما عن انس، للطبراني في الصغير وللخطيب في التاريخ عن الحسين ابن علي، للطبراني في الأوسط عن ابن عباس، تمام عن ابن عمر، للطبراني في الكبير عن ابن مسعود، للخطيب في التاريخ عن علي، للطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان كلاهما عن أبي سعيد. حديث صحيح. الجامع الصغير 5264

50 ابن عبد البر عن أنس. الجامع الصغير 1111

51 **عَلَيْكَ بِالعِلْمِ فَإِنَّ العِلْمَ خَلِيلُ المُؤْمِنِ وَالحَلْمَ وَزِيرُهُ وَالعَقْلَ دَلِيلُهُ وَالعَمَلَ قَيِّمُهُ وَالرِّفْقَ أَبُوهُ وَاللِّينَ أُخُوهُ وَالصَّبْرَ أَمِيرَ جُنُودِهِ**. الحكيم عن ابن عباس. حديث حسن. الجامع الصغير 5491.

52 الحكيم عن ابن عباس. الجامع الصغير 2881.

53 أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، الباب 11، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، الحديث رقم 2699، عن أبي هريرة.

نوّرت وجدانك ونوّرت روحك ونوّرت سرّك ونوّرت قلبك، حتّى أصبحَت سرعة الفهم عندك كسرعة الغيث، ولازالت الخيرات تنصبّ علينا كالأمطار القويّة علمًا وطريقًة وحقيقةً أو كما قال سيدي الحاج الأحسن ﵁، فتصبح الفهوم كالغيث، لأنّها بلغت درجة عظيمة من السّرعة والكثرة فأصبحتْ لهُ حالا ومقاما، فكذلك القارئ ينتفع من قراءته وينتفع من ذلك الفهم الّذي يحصل للسامع بالرغم من أنّ السامع صامت يستمع ولكنّ قلبه يكون كالرّحى بسبب الأنوار والعلوم، فالقارئ يسمع ذلك الأمر الّذي ينتفع به السامع ويتنوّر به فينشط في قراءته وتلاوته ويزداد فيه النّور، وكما قال الشّيخ ﵁: كلٌّ منهما قارئ ومستمع، فالقارئ هو قارئ باللّسان أي بالظاهر ومستمع بقلبه وإلى ماذا يستمع؟ هو يستمع إلى كلامك أنت أيها السامع، أي إلى كلامك الباطنيّ بقلبك وأنت مستمع إلى ظاهره فكلّ منهما مستمع وقارئ وهذا هو العلم فكلّ منهما مفيد ومستفيد، ولذا قال ﷺ: "**اغْدُ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، أَوْ مُحِبًّا، وَلاَ تَكُنِ الخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ**"[54]، وما أخذ الله العهد على العالم أن يُعلِّم حتّى أخذ العهد على المتعلّم أن يَتَعلّم، وهما في الأجر سواء، ولذا أصبحنا كلّنا إخوة ذاتًا واحدة، لكن إذا قدّم الله ﷻ من قدّم فلابدّ من تعظيم ذلك الأمر، لأنّه من الله، فتحترمونه وتعظّمونه، وكما قال الشيخ سيدي أحمد التّجاني ﵁ ينزّلونه منزلة الشّيخ فيستمعون إليه ويمتثلون لأمره ويطيعونه في كلّ ما أمرهم به وينتهون عن كلّ ما نهاهم عنه، وذلك واجبهم تجاهه، وهو ينزّلهم منزلة ضيوف رسول الله ﷺ، فهم يخافون منه ويعظّمونه، وهو كذلك يرتعش منهم ويرى فيهم نور رسول الله ﷺ معاينةً محبةً وإكرامًا وتعظيمًا وإفاضةً، وهذه هي ضوابط الطريقة، فمن خرج عنها يكون قد خرج عن الحقّ وعن المعقول وعن الطّريقة وعن الصّواب فسيتضرّر دون شكّ أو خلاف، أو يُزال إلى زوايا الإهمال كأن لم يكن، فلا تَسمع له اسمًا ولا ترى له صورةً ولا نورًا، لأنّه انتهى ولم

[54] للطبراني في الوسط عن أبي بكرة. حديث حسن. الجامع الصغير 1213

يعد موجودا جملة وتفصيلا، لذا فلنأخذ حذرنا جميعا، ولذا يقول ﷺ: نحن دائما في علم أو في تعلّم، فهذا هو حالنا دائما وقال كونوا مثلي إما في علم أو في تعلّم.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

﴿ سَلِيمُ الفِطْرَةِ لَا يَعْرِفُ إِلَّا اللَّهَ ﴾

القصرين في 2 ربيع الثاني 1430 هـ الموافق لـ28 مارس 2009م

السّارد: بسم الله الرّحمان الرحيم وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد النّبيّ الأسعد الكريم وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما.

قال سندنا رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين في كتاب "سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستّار" ص 14: والمخلص تزداد همته بذكر الثواب المرتب على عمله ويزيد مجاهدة وهي خير من البطالة والمقرب يخاف ويدهش وينقبض عند سماع الثواب ولو من الشارع مخافة أن يكون من المطرودين المبعدين من حضرة سيدهم فيزداد انحياشا لجناب الحق ويسرى فيه سر كلام النبوءة فيزيد تجردا مما سواه ويصحح وجهته ببركة الخطاب مجردا من الغير والغيرية فيزيد قربا على قرب مثاله أن الصبي الأحمق بصباه إذا هرب من حضرة أمه المشفقة عليه إلى حضرة الصبيان أمثاله بين كبير وصغير عقل وصغير جسم وعقل فان لسان أمه يقول له فانحش إلي وابق معي فانا الحنينة عليك القائمة بمصالحك العارفة بثمنك لأني ولدتك فان امتنع ترغبه بمثل بيضة ورمانة وحلواء وحاجة فتمنيه بها يا ولدي أن رجعت إلي أعطك حاجة تارة تظهرها وتارة تخفيها ومقصودها الرجوع إليها فان رجع عن شراده تمكنه منها وإلا أمسكت عنه فان رجع ما رجع محبة في أمه وإنما حمله الهلع ولا يبقى في حجر أمه وان رجع مطمئنا لأنه إنما رجع لغرضه فان أكل الرمانة أظهرت له الأخرى أحسن منها حتى

يكبر ويعقل فان عقل ترك ونهمته إما البقاء وإما العقوق نعوذ بالله وإذا امتنع من الرجوع بعد المبالغة في إظهار الحاجة تتركه وهواه وربما تحرض عليه الصبيان ليضربوه ويسبوه ويهينوه محبة فيه للرجوع إليها فان أهين أو ادمي يهرب إلى أمه للشكاية فتقول له أنت الذي تركتني وتبعتهم ليبارك لهم في صحتهم لأنك اخترتهم فان أكثر الشكاية عليها ولزمها تستقذر له مخالطتهم وتظهر له أنها معادية لهم وهي التي حرضتهم عليه سياسة منها للبقاء عندها لأنها عاشقة فيه فان انحاش لها وجلس في حجرها قبلته ولا تبالي بما فعله في حال صباه والصبيان وان كانوا مبكين له يترددون عليه بالنداء للعب معهم على عادة أهل الأهواء فان استقذرهم واعد مجالستهم ومرافقتهم سما بما رآ عيانا من إذايتهم له وقطعهم إياه عن حضرة والدته المدبرة له يبقى مكفولا مرضيا موصولا مع أمه وان نسى ما فعلوه معه يخرج إليهم ويكبر معهم فاسد الطوية مقطوعا ملعونا في حضرة أمه وهو مولودها تحبه ويبغضها وكذلك أن خرج للصبيان وعظموه ورأسوه وأمروه عليهم فانه لا يرجى برء بلائه لأنه وجد الرياسة مع غير أمه فينقطع دائما بسبب اللهو والصبي المنحاز إلى أمه الذي لا يألف غيرها ولا يريد الانقطاع عنها لطهارة أصله وشهامة مخبره لا يفارقها ولا يربي ألفة على أحد حتى أن جدته أو خالته إذا طلبته من حجر أمه ينظر إلى أمه لما عرف بباطنه أن أمه تحبها فان أذنت له أمه ظاهرا وباطنا يمش متغنجا متبخترا مظهرا انه لا يريد لولا أذن أمه فيبقى بين يديها لحظة وقلبه مع أمه وعينه كذلك وهو يفرفر إليها فإذا استمتعت به في قدر لحظة ينسل إلى أمه فان منعته الخالة مثلا يبك حتى يرجع هذا شان سالم الفطرة فلا يحتاج إلى تمنية أمه للرجوع ولا يعرج على مثل البيضة بل كليته في حضرة أمه ...

البيان: إذن فالشّاهد في هذا كلّه –ولله المثل الأعلى– أنّ الإنسانَ سليمَ الفطرة لا يعرف إلاّ الله ﷻ، ولا يتوجّه إلاّ إلى الله ﷻ، ولا يصفو له حال إلاّ إذا

كان متوجّها إلى الله ﷻ في كلّ أحواله وأحيانه مستحضرا مراقبة سيّده عليه، وكلّ ما يفعلُه إنّما يفعله شريعةً من أكل وشرب وزواج وعمل وإنّما يفعله لأنّ الله ﷻ أمر به، فقلبه دائما متعلّق بربّه، فلا تشغله الدنيا ولا المال ولا الأولاد ولا الرئاسة ولا حبّ الدنيا بصفة عامّة عن الله ﷻ، فهو إنما يفعل ما يفعله بنية الامتثال والطاعة لله ﷻ، فإذا أكل يستحضر: ﴿**وَكُلُوا**﴾[55]، وإذا شرب يستحضر: ﴿**وَاشْرَبُواْ**﴾[56]، وإذا تزوّج يستحضر: ﴿**فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء**﴾[57]، وإذا نام يستحضر: ﴿**وَالنَّوْمَ سُبَاتًا**﴾[58]، وإذا عمل يستحضر: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ**﴾[59]، إلخ، إذن فكلُّ ما يفعله هو بنية الامتثال والطاعة لله ﷻ، فيكون قلبه مع ربّه ويكون جسده في أمور معيشته، بما يلزمه بين اليوم واللّيلة، فهذا يُسمّى عارفا بربّه مراقبا له ﷻ، وأما إذا غلب عليه هوى النّفس وأصبح قلبه متعلّقا بالدّنيا وبملذّاتها وهواه فيما يحبّ، فهذا –إن كان محبوبا– فقد يسلّط عليه الله ﷻ من يُرجعه إلى حضرة الحقّ فتتعسّر وتتقلّب عليه الدّنيا ويصير في معيشة ضنك[60] حتّى يرجع إلى الحقّ وإلى الطّريق الصّواب، وما ذلك إلاّ من محبّة الله ﷻ وعنايته به، ولله المثل الأعلى، كالأمّ تحبّ ولدها وهو يهرب منها لأنّه يحبّ أن يلعب مع الصّبيان، فتمنّيه بالثّواب من بيض وغلال تطميعا له، لأن عقله ليس كاملا فلو كان عقله كاملا لرجع إلى أمّه بلا مقابل فكذلك الثّواب الّذي يرتّبه الحق ﷻ عن الأعمال إنّما هو مجرّد مجاز، فالإنسان لا يستحقّ حقيقة أن يثاب على فعله لأنّ الله ﷻ يستحقّ أن يُعبد بدون غرض، بل لأنّه هو الله خلقنا وصوّرنا وجعلنا مسلمين بمحض الفضل والجود والكرم، ولم نطلب ذلك حيث كنّا في بطون أمهاتنا وقبلها كنّا في العدم، ونحن لا

---

[55] {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (31) سورة الأعراف

[56] نفس المصدر السابق

[57] {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} (3) سورة النساء

[58] {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} (47) سورة الفرقان

[59] {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (105) سورة التوبة

[60] {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا} (124) سورة طـه

نعلم شيئا فللّه الحجّة البالغة ولله المنّة والفضل ولله المثل الأعلى، فكيف نعبد الله على حرف؟ وكيف نعبده وقلوبنا متعلّقة بالثّواب؟ فالقلب الصّافي يتعلّق بالله ولا يتعلّق بالثّواب بل يفرح به فقط لأنّ الثواب إنّما هو مرتّب من الله، كالجنّة، يفرح بها لأنها من روائح قرب سيّده ومولاه، لا أن يعبد الله للجنّة، لأنّ الجنة هي مخلوقة من مخلوقات الله كذلك، فلا تُعبَد لذاتها، بل يُعبَد لله ﷻ لذاته، وهذا مثال العاقل فيمنّيه الشّارع ﷻ بمثل بيضة ورمّانة وبقول "من فعل كذا أعطيه كذا"، وأمّا من هُم أعلى مرتبة من ذلك فهم الّذين يعبدون الله لغير نوال، "**إِنَّ أَوَدَّ الأَوِدَّاءِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللهَ لِغَيْرِ نَوَالٍ**"[61]، فلو طَلب منهم الحقّ ﷻ: ماذا تريدون؟، لقالوا: نريدك أنت ونريد فِعلَك فينا، فما فعلته ﷻ فهو المحبوب عندنا، وأمّا غيرهم فيطلب الجنّة وما شابهها، فيكون الفرق شاسعا بين الفئتين، ولذا يعلمنا الكاتب –وهو سيّدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ وأرضاه ونفعنا به– كيف نخلص العبادة لوجه الحقّ ﷻ فقط، ومن هذا قوله ﷺ: "**أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ القَلِيلُ مِنَ العَمَلِ**"[62]، أخلص دينك يكفك القليل من العمل لأنّ الله ﷻ غنيّ عن الشّركة والشّركاء[63]، ولذا من يقرأْ "جواهر المعاني" يجدْ أنّ كلّ عمل يقوم به الإنسان له بابان: باب مفتوح وباب مغلق[64]، فإن صدر العمل من العبد العابد لربّه ﷻ بدون غرض معه بل عبادةً وتعبّدًا لوجه الله تعالى فإنّ عمله يُرفع، ويمرّ من الباب المفتوح، ويدخل إلى حضرة الله تعالى، فيُقبل ذلك العامل كما قُبل عمله، وأمّا إن صدر منه ذلك العمل بشهوة غرض مّا مع الله تعالى، كأن يريدَ سرًا أو يترقّبَ فتحا أو ينتظرَ حصول شيء معه في المنام أو في اليقظة إلخ، فهذا يمرّ عمله إلى الباب المسدود، فيبقى

---

[61] قد يكون أصله أنّ الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السّلام: **يا داوود إن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال ولكن ليعطي الربوبيّة حقّها يا داوود من أظلم ممّن عبدني لجنة أو نار، لو لم أخلق جنّة ونارا ألم أكن أهلا لأن أطاع**. والله أعلم.

[62] ابن أبي الدنيا في الإخلاص، الحاكم عن معاذ. حديث صحيح. الجامع الصغير رقم 298.

[63] **أَنَا أَغْنَى الشُرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، الباب 5، باب من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة: باب تحريم الرياء)، الحديث رقم 2985، عن أبي هريرة.

[64] راجع "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني" لسيدي الحاج علي حرازم، الجزء الثاني، الباب الخامس في ذكر أجوبته عن الآيات القرآنية، الفصل الثالث في إشاراته العلوية وحل مشكلاتها بعبارات وهبية. شرح أبيات مطلعها:

فبالمجد والتحميد تتجلى ذاته وبالقصد كان المنع لي وحدي

العمل معلّقا لا يدخل، ويبقى صاحبه يترقّب، فإن تاب إلى الله تعالى وقال: يا ربّ إنّي تبت إليك من جميع العمل بالغرض وبالخاصيّة وإنّما أريد وجهك فقط، فأنت تستحقّ أن تُعبد بدون غرض ﴿**سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا**﴾،[65] وسامحني يا ربّ، فحينئذ يمرّ العمل فيجد صاحبه انشراحا في صدره وطمأنينة، ويكون عبدا موصولا بحضرة ربّه، وإلاّ فإنه يعيش عيشة بلا طمأنينة، فكأنّه يبحث عن شيء ولا يجده، ولماذا؟، لأنّ العمل في أصله معلول، أي فيه علّة، أي أنّ صاحبه يريد به شيئا مّا، والله ﷻ لا يُعبد لـ"شيء مّا" وإنّما يُعبد لأنّه فقط يستحقّ العبادة، فمن فهم هذا الكنز العظيم فإنه يسمّى من الواصلين، فيكون من عباد الله الواصلين فلا يتميّز بشيء، لا بكرامة ولا بخرق عادة ولا بأيّ شيء، وإنّما هو عبد من عباد الله مكفول ومحفوف بأيدي العناية ومُعظَّم عند الحق ﷻ وهو من النّاس وكسائر الخلق، ولسان حاله يقول: أنا منكم، فكأنّه رجل في الزّحام، وأما من كان يريد شهرة أو يريد ظهورا أو شيئا آخر فإنه غير مقبول عند الحقّ ﷻ لأنّ الله لا يقبل أن يشرك به أبدا، ولذا أعطانا الشّيخ ﷺ هنا أمثلة لإيصال المعنى بشكل مبسّط، فمن هنا لا يتّبع الجنّة إلاّ من لم يكن له عقل وإيمان كاملان، وكذلك حال الخائف من النّار، فالله ﷻ يخوّف بناره العقول الّتي لم تسلّم له ولم تطلبه هو في حدّ ذاته، ولذا كما يقول ﷺ: فالطّرق ثلاث[66]؛ طريق معوجّ إلى جهة اليمين وهي جهة الجنّة وطريق معوجّ إلى جهة الشّمال وهي جهة النار وطريق مستقيم إلى الله وهو الصراط المستقيم، ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾[67]، وهو أن تعبد الله كأنّك تراه يقينا فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، وأن تأخذ كذلك بأقوى العرى، وهي أن تعبد الله بدون غرض، ولذا يقول ﷻ: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ**

[65] (32) سورة البقرة

[66] راجع الشرب الصافي من الكرم الكافي حاشية على جواهر المعاني لسيدي الحاج الأحسن البعقيلي، الطبعة الأولى، طبعة درب غلّف، الجزء الأول، الصفحات 105 و106.

[67] (6) سورة الفاتحة

النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * قَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[68]، **﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾**[69]، ما أصحاب اليمين وهم الذين يعبدون الله من أجل الجنّة حتّى وإن كانوا **﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاء مَّسْكُوبٍ﴾**[70]، **﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾**[71]، **﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾**[72] وكما ورد في الحديث: **"هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي"**[73]، فإنما المقصود هم السابقون السابقون وهم الّذين يعبدون الله بدون غرض، وهم المتحقّقون بقول "لا إله إلاّ الله"، أي لا معبود إلاّ الله ولا يُتذلّل إلاّ إلى الله، ولا تُطلب الطلبات كلّها إلاّ من الله، ولا يعوّل إلاّ على الله، فلا نشرك به أحدا ﷻ، ولا نتشوّف ولا نتطلّع إلاّ لما أعطانا، **﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾**[74]، أي أقبِل على عملك، واهتمّ بنفسك فقط، فلا يُطلب من الله إلاّ أمر واحد فقط، وأمّا الباقي فكلّه مقسوم، أي جميع الأرزاق الحسيّة والمعنويّة مقسومة، وهذه الأرزاق من أكل وشرب ونكاح وأملاك وعلوم وأنوار وأسرار وترقيات فكلّها مقسومة لا تزيد ولا تنقص، جفّ القلم بما أنت لاق، فلو أنّ الإنس والجنّ ومن في الأرض جميعا اجتمعوا وأرادوا أن يعطوك شيئا لم يقدّره لك الله ﷻ لما قدروا على ذلك، ولو أنّ الإنس والجن ومن في الأرض جميعا اجتمعوا وأرادوا أن يسلبوا منك شيئا قدّره لك الله ﷻ لما قدروا على ذلك، جفّ القلم بما أنت لاق، إذا فإيماننا على هذا القدر، فلا يُطلب من الله إلاّ أمر واحد، وما هو هذا الأمر؟، اللّهمّ إنّا نسألك العفو والعافية، فمن أراد أن يسأل الله شيئا

---

[68] (10-11-12-13-14) سورة الواقعة

[69] (27) سورة الواقعة

[70] الواقعة: ٢٨ ـ ٣١

[71] الواقعة: ٤١

[72] الواقعة: ٤٢ ـ ٤٣

[73] قال صلى الله عليه وسلم: **"خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن ثم ضرب كتفه اليسرى فخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي"**، تخريج السيوطي (ابن عساكر) عن أبي الدرداء.

[74] الأعراف: ١٤٤

فليسأله العفو والعافية، وهو أعظم ما يطلبه الإنسان، فعن أمّنا عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: **"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي"**[75] أي أطلبي من الله ﷻ أن يعفو عنك، فإن عفا الله عنك فقد حزت كلّ شيء، فنطلب من الله العفو والصفح، وقد قيل للإمام مالك في آخر عمره: كيف أصبحت يا إمام؟، فقال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد، وهو من هو، الإمام مالك ابن أنس وما أدراك، فأجلّ ما يطلب الإنسان من الله ﷻ أن يطلب العافية، فإذا سألتم الله فاسألوه العفو والعافية، وكل ما عدا هذا فهو مقسوم لا يزيد ولا ينقص، وإنما يريد الله ﷻ أن يظهر لنا كيف تتقلب قلوبنا بين اليقين وبين العبودية وبين مراقبة الحق ﷻ، ولابدّ لنا كلنا من الابتلاءات والامتحانات، لأننا لسنا في الجنة، فيريد ﷻ أن يرى كيفية تقلبنا في أطوار العبودية، فإن كنا في عسرة من مال فنتضرّع لله ﷻ أن يفرّج عنّا، وإن جاء المال، فالمقصود هو الله، وإلاّ أصبح ذلك المال هلاكا على صاحبه، فنشكر الله على نعمته، اللّهم لك الحمد، اللّهم أعطيت وباركت فزد، اللّهم وفّقنا أن نتصدّق وأن نزكّي وأن نعطي حقّ السائل والمحروم وأن نعين الغير بهذا المال إلخ، فإن مرض طلب من الله الشّفاء وتاب واستغفر، وإن صحّ شكر الله، فهكذا يكون التّقلّب في أطوار العبودية، وأمّا الأرزاق فقد قُسّمت فهي لا تزيد ولا تنقص، فيُسأل من الله ﷻ العفو والعافية.

اللّهم انا نسألك العفو والعافية، اللّهمّ إنّك عفو تحب العفو فاعف عنّا، اللّهمّ اغفر لنا وارحمنا واسترنا واجبرنا وارزقنا وارفعنا ولا تضعنا، اللهم جاز عنا أشياخنا: جاز عنّا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي، وجاز عنّا سيّدنا ومولانا محمّد الكبير البعقيلي وجاز عنّا سيّدنا ومولانا محمّد الحبيب البعقيلي وجاز عنّا سيّدنا

[75] أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الدعوات عن رسول الله (ص) الباب رقم 89، الحديث رقم 3580، عن عائشة قالت: **"قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني"**. هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ومولانا ومولى نعمتنا سيّدي محمّد القمار ﷺ وأرضاه ونفعنا به آمين وجاز عنا سيّدنا ومولانا أحمد التّجاني بما هو أهله، يا رب العالمين، يا رب العالمين، يا رب العالمين، وجاز عنّا جميع أولاده، اللّهمّ لا تحوجهم أبدا، وزدهم ولا تنقصهم، وأعنهم يا ربّ وأعنّا معهم بمحض فضلك وجودك وكرمك، يا أرحم الراحمين، اللّهم ثبّتنا اللّهم ثبّتنا اللّهمّ ثبّتنا، وزدنا ولا تنقصنا وارزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا متوجّها كمال التّوجّه إليك بمحض فضلك وجودك وكرمك يا ربّ العالمين، ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾.[76]

[76] آل عمران: ٨

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

رسالة سيدي الحاج الأحسن إلى العارف النّانيّ

تونس العاصمة في 16 ذو القعدة 1430 هـ الموافق لـ 3 نوفمبر 2009م.

السّارد: يقول شيخنا وسندنا سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﵁: الحمد لله وحده وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وآله وأمّته المكرّمة. وهذا سؤال آخر من بعض الخاصّة من أهل الطريقة التّجانية بارك الله فيه وفي أضرابه إلى قيام السّاعة ...

البيان: برغم المعرفة الرّبّانيّة وبرغم العلم الرّبّانيّ الغزير جدّا الموجود في هذه الرّبوع؛ أي ربوع سوس، فإنّ هذا لا يمنعهم من سؤال بعضهم البعض، لأنّه "**إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ**"[77]، والنّاس إخوان بينهم، فكلّنا عالم وكلّنا متعلّم[78]، وكلّنا نتعلّم من بعضنا البعض، فعلى الإنسان أن لا يمنعه مقامه أو معرفته مهما بلغا من أن يسأل بنيّة صالحة وبحسن سؤال وأن يستمع وأن يكون واسطة في إيصال الخير لنفسه ولغيره، ولذا قال له ﵁: بارك الله فيك، فالعلم عن طريق السّؤال بالرسائل هو أيضا مسألة عظيمة جدا، لماذا؟، لأنّ العالِم سيكتب ويعدّ مسبقا ما يجب أن يقوله، فيبحث ويدقّق ويحقّق ثمّ يعطي جوابا شافيا كافيا يعلم أنّه سيصل –لا إلى السائل فقط– بل إلى القارئ أيضا، فما كُتب منذ ثمانين عاما تقريبا ها نحن نجتمع الليلة على قراءته وتدارسه، فمن جواب الفقيه العالم صاحب الشّيخ ﵁ وصاحب

---

[77] أصل الحديث: "**إنّما العلم بالتّعلّم وإنّما الحلم بالتّحلّم ومن يتحرّ الخير يعطه، ومن يتّق الشرّ يوقه**". للدارقطني في الإفراد وللخطيب في التاريخ عن أبي هريرة (ر)، وللخطيب في التاريخ عن أبي الدرداء (ر). الجامع الصغير رقم 2577.

[78] **اغْدُ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، أَوْ مُحِبًّا، وَلاَ تَكُنِ الخَامِسَةَ فَتَهْلِكَ**. للطبراني في الوسط عن أبي بكرة. حديث حسن. الجامع الصغير 1213

الفتوحات عن السؤال فإنّه يصير وكأنّه موجود معنا اللّيلة، جازاه الله عنّا كلّ خير، حتّى وإن لم يحصل لنا شرف سؤاله مباشرة، فإنّ السّؤال والجواب كُتِبا ووَقَعا في يد من قبلنا كما وقعا في أيدينا وكما سيقعان في أيدي من سيأتي بعدنا، فننتفع ببركة بعضنا البعض، اللّهمّ لك الحمد ولك الشكر، وكما قال تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾[79] فالسؤال كتابةً ثمّ الجواب عنه كتابةً هي مسألة عظيمة جدّا، ولهذا قال له: بارك الله فيك لأنّك شاركت في إسعاد نفسك وغيرك

السارد: بارك الله فيه وفي أضرابه إلى قيام الساعة ...

البيان: أضرابه أي أمثاله، فبارك الله فيه وفي أمثاله وفي كلّ من نحا نحوه إلى قيام الساعة ...

السارد: نصّه ...

البيان: قال ﷺ: نصّه، لأنّه لابدّ أن يُورد الجواب مع نصّ السؤال إذ ربّما يجد النّاس اليوم رسائلَ للعلماء والعارفين بالله تعالى ولا يكون معها السؤال الأصليّ الّذي طُرِح، فيبدأ كلٌّ بالفهم على حسب عقله وفهمه ونوره، فربّما لا يصيب هنا وجه النّازلة وربّما يحيد عن الحقّ، ولذا كان لابدّ أن يدوّن السّؤال الأصليّ كما طُرِح من صاحبه، فيُقيَّدُ بذلك الجواب، ويقول حينئذ: ونصّ السؤال كذا وكذا، وأمَّا الجواب فهو كذا وكذا، فتكون بذلك المسألة متكاملة حيث أنّ نصّ السّؤال ونصّ الجواب موجودان مع بعضهما البعض، وإلاّ فلا يُأوَّل نصّ الكاتب إلاّ إذا عُلم أصله ...

السّارد: بسم الله الرّحمان وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وأمّته ومن سبق في علم الله أنّه مؤمن سعيد.

[79] القلم: ١

أعزّ الله سيادةَ المتعطّشِ العارفِ باللهِ وبأحكامِهِ ...

البيان: العارفُ بالله وبأحكامِهِ، فهنالك العارف بالله فقط، وهنالك العارف بأحكام الله فقط، فأمّا الأوّل فيسمّى مجذوبا، فإنّما هو وليّ عارف بالله كلّه مجذوب ولكنّه في غير إحساسه وفي غير وجوده وليس له علم بعلم الشرائع فلا يُقاس عليه، فلا نتعلّم منه العلم الشّرعي ولا نقيس على ما يفعله ولكن لا ننكر عليه، فإن كانت لنا القدرة على أن ننصحه شريعة فقط فنقول له: صلّ أو توضّأ أو أحسن الوضوء، ثمّ نتركه على حاله، فلا يُتّبَع ولا يُقتدى به ولا يُنكَر عليه، ومن أنكر على أصحاب الأحوال فربّما يتضرّر، لأنّ هذا من شؤون المولى ﷻ الّتي لا يعلمها إلاّ هو، فأدبًا مع أهل الله نتركهم على حالهم، فهذا هو العارف بالله فقط، وأمّا العارف بأحكام الله أي بأحكام الشّريعة فقط فيسمّى فقيها، ولا دخل له في علوم الأذواق وغيرها، وأمّا العارف الكامل فهو الّذي له باعٌ في العلوم الشرعيّة من اعتقاداتٍ وفقهٍ ومعاملاتٍ وعبادةٍ ويكون كذلك له باع في علوم الأذواق وعلوم تزكيةِ وتربيةِ النفوس وتقريبها إلى الله المعبود ﷻ، فيسمّى شيخًا إن كان يحبّب الله إلى عباد الله ويحبّب عباد الله إلى الله، فهذه مرتبة المشيخة، وأمّا فعل خلق الهداية فهو من الله ﷻ وليس لأحد مهما كان نصيب فيه إلاّ بالتسبّب ...

السّارد: من حامل لواء أهل السّعادة العالم المكمّل الذي لا يمنعه علمه عن سؤال ما دونه رتبة وعلما وعملا وحالا ...

البيان: ربّما يظنّ البعض هنا أنّ الشيخ البعقيلي يتواضع، ولكن فَهْمُنا ممّا رأيناه في شيخنا القماري رضي الله عنه وأرضاه وممّا قرأناه في كتب البعقيلي يجعلنا نقول أنّ العارف من هؤلاء العارفين الكُمّال رضي الله عنه لا يقول ذلك في حالة تواضع بل هو لا يعتقد نفسه فوق مخلوق أو فوق ذرّة من ذرّات الكون أبدا، بل هو اعتقاد مقهور به جبلّةً ممّا داهمه من معرفة الله ﷻ فلا يرى نفسه فوق أيّ ذرّة من ذرّات الكون

فيقول: نحن مستوون في المخلوقية، حتى وإن علم أنّه قطب، حتى وإن علم أنّه وليّ، فهو لا يرى الولاية إلاّ من حيث أنّها من الله، فالله هو الوليّ، فإن قال: أنا أضعفكم، فليس هذا من باب التّواضع وإنّما هو يقول حقيقة ما يعتقده، ولا يستطيع أن يعتقد شيئا آخر أبدا، ولكنّ الله ﷻ ينصر هذه الأمّة بضعفاءها[80]، فأمّا القوي فهو موكول إلى قوّته وأمّا الضعيف فهو في ولاية الله ﷻ ...

السارد: السيّد أحمد بن العلاّمة السيد محمّد بن عبد الله التّناني السّلام والرحمة على تلكم الرتبة القعساء وعلى جميع أهاليكم ...

البيان: القعساء[81] أي العالية وتكون شديدة العلوّ إلى حدّ يصعب معه الوصول إليها ...

السارد: وبعد فإنكم سألتم عن الذّكر بالأسماء على وجه الأفراد هل هو سنّة كما هو مذهبكم أو بدعة كما زعمه المتبجّح ...

البيان: فهناك من يقول أنّ ذكر الاسم المفرد (الله) بدعة، وهناك من يقول أنّ الإكثار من قول (لا إله إلاّ الله) بدعة، والعياذ بالله تعالى، حتّى أنّ بعضهم وصل إلى حدّ القول بأنّ تلاوة القرآن جماعة بدعة، فعندهم يجب أن لا يُتلى القرآن

---

[80] عن أبي الدرداء أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ابغوني الضعفاء؛ فإنّما ترزقون وتنصرون بضعفاءكم"**. أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الجهاد، الباب رقم 77، باب في [الإنتصار] برذل الخيل والضعفة، الحديث رقم 2594.

[81] يقول محمد البوصيري (ر) في همزيته في مدح رسول الله (ص)، وفي وصف ترقّيات المعراج:

وَتَرَقَّـــــــى بِـــــــهِ إِلَـــــــى قَـــــــابِ قَوْسَيْـــــــ

ـــــــنِ وَتِلْـــــــكَ السِّـــــــيَادَةُ الْقَعْسَـــــــاءُ

رُتَـــــــبٌ تَسْـــــــقَطُ الأَمَـــــــانِيُّ حَسْـــــــرَى

دُونَهَـــــــا مَـــــــا وَرَاءَهُـــــــنَّ وَرَاءُ

جماعة، والعياذ بالله تعالى، وهذا من انطماس البصيرة عافاكم الله، فكيف يكون ذكر أسماء الله ﷻ بدعة لمن قرأ كتاب الله ﷻ وقرأ كلام رسول الله ﷺ؟!، وكيف يُترك القرآن جماعة ويُترك الذّكر جماعة وهي من أعظم التّقوى ومن أعظم البرّ؟!، مع أنّ هذا الأمر يدخل في قوله ﷻ: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[82]، مع أنّه ليس هناك برٌّ وتقوى أعظمُ من تلاوة كتاب الله تعالى وتدارس معانيه، فلو اتّبع النّاس هذا القول بالبدعة لتركوا كتاب الله شيئا فشيئا، نعوذ بالله من ذلك، وكثير من النّاس من حفظ إمّا القرآن كاملا أو حفظ منه قسطا كبيرا بالسّماع فقط من غير قراءة، فإنّ ذلك يحي النّفوس وتتنزّل به البركات وتدفع به النوائب والشدائد، " ... **مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرّحْمَةُ وَحَفّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.**"[83]، وذلك لأنّ كلّ ما لم يُوجد في عهد رسول الله ﷺ فهو عندهم بدعة، ولكن هذه بدعة لغويّة، فيمكن أن تكون بدعة حسنة كما يمكن أن تكون بدعة غير حسنة، وأمّا البدعة الشرعيّة فهي المذمومة وهي أن يأتي الإنسان بما لا يوافق أصلا من أصول الشّرع أي القرآن والحديث، وأمّا البدعة الحسنة فهي سنّة لشاهد قوله ﷺ: "**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً**" الحديث[84]، ولذلك سمّاها ﷺ (سنّة حسنة) وأعطى الله ﷻ الثواب لمن عملها إلى يوم القيامة، بل ويكتب كلّ ذلك في صحيفة من تسبّب فيها، كفعل سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ حين جمع النّاس على صلاة التراويح، فكانت نِعم البدعة ونِعم السنّة، وفي

---

[82] المائدة: ٢

[83] ورد في صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار الباب 11 باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر الحديث رقم (2699) وفيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): "**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدّنْيَا، نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسّرَ عَلَىَ مُعْسِرٍ، يَسّرَ اللّهُ عَلَيْهِ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللّهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهّلَ اللّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَىَ الْجَنّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرّحْمَةُ وَحَفّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**".

[84] أصل الحديث قوله (ص): " ((**من سن سنة حسنة فيعمل بها كان له أجرها، ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا. ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا**)). وقد أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، الباب 14، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، الحديث رقم 203، عن المنذر ابن جرير عن أبيه.

حديث آخر: "من ابتدع بدعة حسنة ... **الحديث**"، وهذا أمر عظيم جدا، ومن هنا تطرح مسألة هل من البدعة أن يذكر الله عشية الجمعة مثلا بقراءة الكلمة المفردة "الله"؟، هناك من النّاس من يظنّ هذا، فاسمع كلام الله في هذا الأمر، والعارف حين يقول لك "اسمع" فكأنّك لم تسمعه أبدا، فببركته وببركة همه يُفتح قلبك، ومن هنا كانت السّمة المميِّزة للعارف أنّك إن عاشرته فإنّ قلبك يُفتح إلى حضرة الله فإن لم يُفتح قلبك فهو ليس بعارف، وإن بدأ قلبك بالانفتاح شيئا فشيئا إلى حضرة الله فإنّك ستحبّ الله كلّ يوم أكثر من اليوم الّذي قبله، وكما قلنا فالعارف من حبّب الله إلى النّاس وحبّب النّاس إلى الله، فيحبّبهم إلى ربّهم بأن يدعو لهم ويتشفّع لهم عند ربّهم، ويحبّب ربّهم إليهم بأن يعلمهم بأنّ الله رؤوف رحيم جميل عظيم الشأن سبحانه وتعالى

السارد: كما زعمه المتبجّح بما يصله ولم يعلمه لحبّه الشهرة بالغرائب ...

البيان: وحبّ الشهرة بالغرائب هو من قبيل (خَالِف تُعرَف)، فمن كان عمله لله فإنّه لا يبالي عُرف أو لم يُعرف أو اشتهر أو لم يشتهر لأنّ عمله مقتصر على مرضاة الله ﷻ، وأمّا من كان عمله لغير الله تعالى فإنّه يحبّ الظّهور ويحبّ الرئاسة فيولع بما استفرد به البعض من غرائب الأحكام وغرائب القصص، فيُفتضح أمره والعياذ بالله، لأنّ الخير مع الجماعة ومع الجمهور وليس في مخالفة ساداتنا الصّحابة رضي الله عنهم ولا من والاهم من التابعين وأكابر علماء الأمّة ...

السارد: وهو لا تسمنه ولا ترويه، فالخير في السنّة، فاسمع كلام ربّنا ولا تراه قد أوجب عليه التعلق والتعبّد باسمه "الله" ...

البيان: فهو قد قال أنّ هذا كلّه بدعة، وأنّ المقصود من الأسماء الإلهيّة ككلّ هو التعلّق بالاسم "الله" الّذي هو مرتبة الألوهيّة، والألوهيّة تقتضي استغناء الله ﷻ

عن جميع الخلق وافتقار كلّ خلقه إليه، فقال التعلّق والتعبّد، فنقول: نعم، الاسم "الله" نتعبّد به، ولكنّك لا تستطيع أن تقول: لا نذكره جماعة ولا نكثر من ذكره، فهذا فهمك الخاص بك، فمن أين لك هذا؟، ولهذا قال سيدي الأحسن ﷺ: فاسمع كلام ربّنا، وكما قلنا فالعارف إذا قال "اسمع" فإنّه سيسمعك في القرآن ما لم تسمع أبدا، وهذا معلوم في حادثة انتقال رسول الله ﷺ حين هدّد الفاروق ﷺ بقطع رأس كلّ من يقول بوفاة النّبي ﷺ، وهو عمر ﷺ وما أدراك ما سيّدنا عمر ﷺ، وهو حافظ لكتاب الله ﷻ، إلاّ أنّه كان مجذوبا إلى ذات رسول الله ﷺ، وأمّا الصدّيق ﷺ فهو مجذوب إلى ذاته وإلى مرتبته، فما كان منه ﷺ إلاّ أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وتلا الآية: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [85]، فعندما سمعها سيّدنا عمر ابن الخطاب ﷺ سقط مغشيّا عليه، فكأنّه لم يسمعها أبدا، فمن هنا كان العارف إذا أسمعك أو تحدّث معك في كلام الله ﷻ فإنّه يفتح قلبك للفهوم والمعاني، ثمّ يزيدُ التدفّق أكثر وأكثر مع الصدق حتّى يبلغ الإنسان مراتب عالية في الفهم في كتاب الله ...

السّارد: ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ [86] ...

البيان: اذكروا اللهَ ذكرا كثيرا، وهذا قرآن، اذكروا (الله) ذكرا كثيرا ...

السارد: وإنما أمر بذكر اسمه منقطعا به عمّا سواه ﴿**فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ**﴾ [87]، ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ [88] ...

---

[85] آل عمران: ١٤٤
[86] (41) سورة الأحزاب
[87] (198) سورة البقرة

البيان: وهذا نص قرآني يحرّضنا على ذكر الله، لكن كيف نذكر الله؟، ليس بالتذكّر لكن بأن نقول (الله الله الله) ...

السارد: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ**﴾[89] ...

البيان: أي في جميع أحوالهم، فقد كان ﷺ يذكر الله في سائر أحيانه ...

السارد: ﴿**فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ**﴾[90]، ﴿**لاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[91] ...

البيان: سبحانه وتعالى ذكر الّذين يذكرونه كثيرا وأمرهم بذلك، ومن جملة ذلك قوله ﷺ ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[92]، وكما قلنا فإنّ الخطاب الشرعي يتوجّه للرجل والمرأة على حدّ السواء، ولذلك فقد مدحهم المولى عزّ وجلّ، ومن ناحية أخرى ذمّ الذين لا يذكرونه إلاّ قليلا، وهو استنقاص لهم ...

السارد: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعا**﴾[93] واذكر الله فذكر اسمه الله أفضل من كل عبادة، قال ﷺ: "**ذِكْرُ الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم**"[94]، ...

---

[88] (200) سورة البقرة
[89] (191) سورة آل عمران
[90] (103) سورة النساء
[91] (142) سورة النساء
[92] (35) سورة الأحزاب
[93] (205) سورة الأعراف
[94] أصل الحديث قوله (ص): "**ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الصريد، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله**

البيان: فذاكر الله ﷻ بين الغافلين كالحيّ بين الأموات، والفرق بين الذاكر والغافل كالفرق بين الحي والميّت ...

السارد: وذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارّين الخ والأحاديث فيما ذكر في الآيات إلاّ التعلق بالاسم المفرد فالذكر بالجلالة إنّما هو حمل على الإفراد فإنّ الفاني في بحر الهوية لا يجد ما ينفي ...

البيان: المراد منه هنا هو الانتقال من قول (لا إله إلاّ الله) إلى قول (الله الله الله)، فهيللة يوم الجمعة مثلا يجوز أن تكون كلّها بالاسم المفرد (الله) كما يجوز أن تكون كلّها بـ(لا إله إلاّ الله) كما يجوز كذلك أن يكون فيها شيء من (لا إله إلاّ الله) وشيء من (الله الله الله)، لماذا؟، لأنّ الذّاكر في البداية يكون في بساط عالم الشّهادة، فيقول شريعةً (لا إله إلاّ الله)، أي لا موجود إلاّ الله، ولا معبود بحقّ إلاّ الله، ولا محرّك إلا الله، ولا مسكّن إلاّ الله، ويجيب جميع أجناس الكفّار بأن يقول لهم: كذبتم، فلا إله إلاّ الله، أي ليست الشمس معبودة أو القمر هو المعبود أو المال هو المعبود، إنّما المعبود هو الله، فيجيب بذلك جميع أهل الكفر بأن يقول عوضا عنهم (لا إله إلا الله) فيأخذ بذلك جميع ثوابهم، كما أنّ في الجنّة مكانا لكلّ مسلم وكافر وفي النّار مكانا لكلّ كافر ومسلم، فيأخذ المسلمون في الجنّة أماكن الكفار، ويأخذ الكفّار –والعياذ بالله– جميع أماكن المسلمين، فإذا غلب عليه شهود الحقّ ﷻ وتحقّق بمعنى (لا إله إلا الله) ذاكرا لها ذكرًا وتلاوةً للقرآن في ذات الحين، لأنّ (لا إله إلا الله) من القرآن، ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[95]، فالعارف يقرأ القرآن تلاوة ويذكر الله في قول واحد وهو (لا إله إلا الله)، فينوي فيه التلاوة والذكر معا، فإذا انتقل إلى الشّهود فإنه لا يجد فيه ما ينفي، والنّفي هنا هو (لا إله)

مقعده من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم". لأبي نعيم في الحلية عن ابن عمر، الجامع الصغير 4311.

[95] (19) سورة محمد

وأما الإثّبات فهو (إلاّ الله)، فلا يجد ما ينفيه ولا ما يثبته لأنه أصبح لا يرى إلا الله ﷻ، فسقطت جميع الحجب بالنّسبة إليه فلا يرى شيئا إلا الله، وهذا من قوة اليقين وقوة الحضور وكذلك من قوة الشُّهود، وهو أمر معروف عند أهل الله إلى يوم القيامة ولا ينقص من هذه الأمة أبدا، علِمه من علِمه وجهله من جهله، وصدّقه من صدّقه وكذّبه من كذّبه ...

السارد: فإنّ الفاني في بحر الهوية لا يجد ما ينفي إنّما يقول أوّلاً ما يسبح به ربّه ثمّ الاسم باعتبار الشريعة ثمّ يرجع إلى وكره في الإثبات فليس له ما ينفي عنه وإنما النفي راجع إلى النفوس الفانية في أودية الأغيار فقط ﴿**قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[96] ...

البيان: قل (الله) ثمّ اترك كلاًّ في حاله، فمن كان شغله التجارة فاتركه على ذلك، ومن كان شغله اللّعب والمزح والغناء فاتركه، وكذلك من كان شغله عبادة ربّه على غرض فاتركه وذره على ما هو عليه من الأغراض، وأمّا أنت فقل (الله) إثباتا فتسقط جميع الحجب عن يمينك وشمالك وفوقك وتحتك فلا ترى إلاّ الله ولكن ظاهرك يبقى دائما مع الشّريعة، قل (الله) ...

السّارد: فمن يرى ما ينفي عن ربّه فهو أجهل اللاّعبين وأطمس الباخسين وإنّما تعلّم الهجاء أوّلا ثم ينقل إلى الروايات والدّرايات والرعايات ...

البيان: والرعايات تكون بمدد الشيوخ العظام ﷺ الذين يمدّوننا بالعلم أوّلا، ويعلّموننا كما يعلّمون الصّغار ثمّ يفيضون علينا من بحور الفهم والذوق الرّبّانيّ أشياء لم نكن لنعلمها لو كنّا مستقلّين بأنفسنا ولو عبدنا عبادة الثقلين أبد الآبدين فلا نجد لحظة واحدة من حلاوة معرفة الله ﷻ أبدا، اللّهم جازهم عنّا أعظم الجزاء

[96] (91) سورة الأنعام

ورضي الله تعالى عنهم أجمعين ويرضيكم عنّا رضًا لا سخط بعده بجاه رسول الله ﷺ، وليعلم الإنسان وخاصة الفقراء ما هو فضل الله علينا، وخاصة فضل أشياخنا علينا لما أفاضوه في هذه الصناديق التي هي القلوب، فاللّحظة الواحدة من اليقين أو من الشوق إلى الله تعالى أو من الصلاة على رسول الله ﷺ لا يمكن أن تصفها أعمار الناس الطّوال، فليحمد الإنسان الله على هذه العطية.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الزّاوِيَة أَمْرُهَا قَائِمٌ بِاللهِ

القصرين في 19 ربيع الثاني 1431 هـ الموافق لـ 3 أفريل 2010 م.

البيان: بسم الله والصلاة على رسول الله ﷺ، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، جازاكم الله كل خير على هذه الكلمات التي تشرح الصدور وتفرح القلوب والعقول ونحن على ذلك كما قلتم إن شاء الله عَمَلُنَا عملٌ واحد ووجهتنا وجهة واحدة وإصلاح أنفسنا مع إخواننا باق ومتجدد في كل وقت وحين، فلا نغفل عن الله ﷻ طرفة عين، ذاكرين شاكرين من أشياخنا مستمدّين، ولا نعتقد أبدا في أنفسنا شفوف مرتبة أيّا كانت هذه المرتبة، فنحن خدّامكم وإخوانكم وأحباؤكم، والله ﷻ هو الّذي حكم بهذا حتى يكون في كل مجموعة من النّاس من يتكفّل بآخر كلمة وبآخر الأمر شرعا وشريعة، وأما المدد الحقيقي فهو من الشيخ ﷻ وأما الفعل الحقيقي فهو لله ﷻ، فلا يغرّنا نجاح أو غيره، ولا يغرّنا غلق زاوية أو فتحها، وإنّما نفرح بالله الباقي الحي القيوم ﷻ، وأمّا فعله فكله خير مهما كان، وإنّ الله ﷻ لا يحب الفرحين بغيره وإنما يحب الفرحين به وحده ﷻ، فنحن لا ننظر إلاّ إلى فعل الله فينا وفي غيرنا، وأما العمل فنعمل اقتداء بأشياخنا وإعلاء لكلمة (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**)

مَـــــا كُنْـــــتُ أَهْـــــلاً وَهُـــــمْ رَأَوْنـــــي

لِـــــذَلِكَ أَهْـــــلاً فَصِـــــرْتُ أَهْـــــلاَ

فالإذن من الشيخ سيدي محمد القماري ﷺ هو السّاري فينا بإذنه ﷺ عن شيخه ﷺ بإذنه عن الشيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ بإذنه عن رسول الله ﷺ، فهذا الإذن النّبويّ القائم هو الذي يقوم فينا إلى يوم القيامة، فكلّما حافظنا عليه وعلى شروطه وآدابه وعلى عِظَم قدره إلاّ وأمدنا الله وإيّاكم بكلّ خير وكلّ سرور وكلّ نجاح وكلّل جميع جهودنا بالرّبح والفلاح، وكلّما –لا قدّر الله– تنكّر له أحد لأيّ ظرف كان فإنّه لا ينجح، ومن استقلّ برأيه لا يفلح، وكلّ من استقلّ بفكره فإنّه لا يوفّق، فالبركة كلّ البركة مع الجماعة، ويد الله مع الجماعة، والذّكر يكون أعظم وأعظم وأعظم مع الجماعة، وأما نحن فلا ندّعي شيئا، فالحمد لله أن سخّر لنا هذا المكان ببركتكم وببركة هممكم العالية وببركة هممكم النافذة وببركة حسن نيّتكم في مشائخكم، فالله ﷻ سخّر لكم هذا المكان وتجلّى فيكم بكلّ خير، وها أنتم ولله الحمد قائمون تعمّرون بيت الله بالذّكر وبقراءة الوظيفة وتلاوة القرآن وتعلّم العلم، وليس لكم همّ إلاّ هذا الأمر، ولا دخل لكم في غيره، وظيفةً وتعلمُ علمٍ وتلاوةُ قرآنٍ ومحبّةٌ وأخوّةٌ في الله ثمّ كلّ ذي حرفة في حرفته وكلّ ذي مهنة في مهنته، وكلٌّ يحاول أن يصلح من حاله ومن عمله ومن داره، وهذا هو المطلوب، وقد قلتها سابقا وأعيدها الآن بحضور سيدي خالد محمّد القمار ﷺ، جاءني إذنٌ من سيدي محمّد القمار ﷺ أمرني فيه أن أسافر إلى ولاية القصرين وأن أجعل هنا الوظيفة جماعةً، إمّا في جامع النور أو في زاويةٍ في حي النّور، وأنا لا أعرف لا جامع النّور ولا حيّ النّور، وقد قدمتُ فعلا إلى هنا إتباعا لأمره ﷺ، وقد كان هذا بعد أن انتقل ﷺ، ولكنّ الأمر تمّ بإذن باطني كما هو معلوم لدى الكثيرين منكم، وهو حيّ ﷺ يروح ويغدو ونحن نخاف منه الآن أكثر من ذي قبل، ومددنا منه الآن أقوى مما كان عليه من قبل، وهذا حقّ، فما كان منّي إلاّ أن قدمت إلى هنا وقابلت الفقراء القاطنين في هذه المنطقة، فسخّر الله هذا المكان، والأمرُ برمّته ليس إلاّ تسخيرا إلهيّا فقط، فالله ﷻ هو الذي فعل فعله، وأنتم بنيّتكم الصالحة أكملتم ما

بقي، وأمّا طريقنا فهو معروف من فقه وعلم وعمل خالصٍ لله، فلا يترقّب الإنسان فتحا ولا أي شيء من ذاك القبيل، وإنّما نصلح من شأننا وأبداننا وعقولنا وعلومنا وإخلاص وجهتنا إلى الله ﷻ والباقي كلّه على الله، فقط، وليس لي ما أقول غير هذا، فجازاكم الله كلّ خير وأخيرا أوصي نفسي وإيّاكم دائما بعدم الظهور بلباس مميّز خارج الزاوية وبترك أزياءكم هنا قبل الخروج، وإذا خرجتم فلا تخرجوا بمجموعات غفيرة العدد، وأوصيكم كذلك بعدم التجمّع أمام الزاوية، ولا تجمعوا أنفسكم مع عامّة النّاس، وحافظوا على زاويتكم، ولا تجلبوا لأنفسكم الشبهات من حيث الهيأة أو الملبس أو المظهر، بل وفي كل شيء، وليأخذ الإنسان الأمور ببساطة فلا جدوى من الثرثرة التي قد تجلب الوبال، عافانا وعافاكم الله، فكونوا عبادا لله، وهذا الأمر إنّما أتى به المولى ﷻ، وكلّ أمر هو قائم بالله، وكل زاوية من زوايا الشيخ رضي الله عنه فأمرها قائم بالله، وإنّما نحمد الله أن جعلنا سببا في عمارتها وفي الذكر فيها، وأمّا هي فأمرها قائم بالله ﷻ، والله هو الذي يتصرّف فيها، والشيخ رضي الله عنه هو الذي فتح لنا في هذا الأمر، فاعتنوا بأنفسكم ولا تجلبوا لأنفسكم الشبهات.

وأكبر نصيحة أقولها لي أوّلا ثمّ لكم ثانيا: تفقّهوا في أمور دينكم، عليكم بالفقه المالكي كمتن ابن عاشر والدرّ الثمين لميّارة وكونوا من العلماء، وعلى أقلّ تقديرٍ على الإنسان أن يكون من العلماء على نفسه وعلى آل بيته، فيتفقّه في ما يلزمه بين اليوم والليلة، ويكون بإمكانه أن يعلّم آل بيته وزوجته وأولاده، وأما من استطاع أن يكون أكثر من ذلك فيا حبّذا، فالمهم عندنا أن يكون الإنسان من العلماء ولو في بيته، فجازاكم الله عنّا كلّ خير، ونستسمحكم عذرا.

بحمد الله.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

مِنَ الفِقْهِ المَالِكِيِّ (1)

تونس العاصمة في 22 شوال 1431 هـ الموافق لـ 30 سبتمبر 2010م.

السارد: السؤال المطروح: ما هو الفرق بين الحاشية والشّرح؟ ...

البيان: ومعرفة ذلك تكون بتعريف الحاشية وبتعريف الشّرح، وهو ممّا يدخل في باب العلم، أي بأن نقرأ دروسا في الفقه المالكي ونحاول من حين لآخر أن نطّلع على العلوم الّتي تركها لنا ساداتنا الفقهاء والعلماء، لأنّ **علمَكَ الشيءَ خيرٌ من جهلِهِ**، فنحن لن ندرّس ذلك من جديد ولكن من باب العلم فقط ...

السّارد: الحاشية على الكتاب هي إيضاح لشرحه فإن كانت مستقلّة، أي بلا شرح توضع عليه، فهي بيان لبعض المباحث الموجودة في الكتاب لا كلّها ويغلب عليها الاختصار ...

البيان: أي أنّ هناك الكتاب وهناك شرح ذلك الكتاب وهناك كذلك إيضاح لشرح ذلك الكتاب ...

السّارد: فأمّا الشرح فهو البيان والتّفسير ويكون على كلّ مباحث الأصل مختصرا كان أو مبسوطا وهناك من يقول بأنّ الحاشية توضع على شكل مصغّر

أسفل الصّفحة وتستخدم لإعطاء معلومة أكثر استفاضة أو تفصيلا عن إيرادها في متن النّصّ وقد تسمّى الهامش أيضا ...

البيان: فإذا ما فتحنا هذا الكتاب الآن فنجد فيه (**متن ابن عاشر**) ومعه شرح ذلك المتن، ومتن ابن عاشر اسمه بالكامل (**المُرْشِدُ المُعِينُ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ**) لصاحبه عبد الواحد ابن عاشر وشرحه اسمه (**الدُّرُّ الثَّمِينُ وَالمَوْرِدُ المعِينُ**) لصاحبه محمّد ابن أحمد ميّارة المالكي، وبأسفل كلّ صفحة سطر يفصل الكتاب الأصليّ عن كتاب آخر اسمه (**شرح خطط السّداد والرّشد على نظم مقدّمة ابن رشد**) وهو شرح لمتن آخر كمتن ابن عاشر، وقد سمّوه الهامش، إذا فهذا كتاب أصليّ وهو شرح مفصّل لكامل المتن من أوّله إلى آخره، ولذا يقول (قوله: يقول عبد الواحد ابن عاشر) ويفصّلها، ثمّ (قوله صلّى وسلّم على محمّد) ويفصّلها كذلك، فهو شرح مطوّل غير مبسّط، ولو كانت فيه حاشية لكانت تلك الحاشية تبيينا وتفسيرا مبسّطا على هذا الشّرح ...

السّارد: وهذه دراسة مطوّلة في ما يخصّ الفتوى لمن أراد الاطلاع، وهذه دراسة أخرى عن العالم الربّاني ...

البيان: في ما يخصّ العالم الربّاني، قال: العالم الربّاني يتّصف بصفتين أوّلهما خشية الله ﷻ، لشاهد قوله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[97]، وأمّا الصّفة الثّانية فهي أن يربّي النّاس على الخير لشاهد قوله ﷻ: ﴿**كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾[98]، فيربّي النّاس على العلم ويتدرّج بهم شيئا فشيئا، ولهذا قال بعض السّلف يربّي بصغار العلم قبل كباره، وهذه قد ذكرت في كلمة تونس في المؤتمر الأخير في المغرب، قلناها لسيدي محمّد الكبير ﷺ،

[97] (28) سورة فاطر
[98] (79) سورة آل عمران

وهذا ممّا رأيناه في سيدي الحاج محمّد القمار ﷺ، فقد كان ﷺ يربّي بصغار العلم قبل كباره، أي أنّه يتدرّج بالمتعلّم شيئا فشيئا فلا يوحشه بقوّة وكثرة العلم وإنّما يؤنسه، فإذا ما أوحشته وأجفلته فإنّه أوّلا لا يستوعب وثانيا لا يرجع إليك، فلو أنّ هذا الفقير الّذي كان يدرّسنا التّجويد منذ قليل قام بإعطائنا كلّ قواعد التّجويد فإنّه لن يرجع إليه أحد ولن يستسيغه أحد، ولكنّه -جازاه الله كلّ خير- علّمنا كيف نقرأ فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص قراءة صحيحة، وأعطانا نبذة عن بعض قواعد التّنوين وخاصّة الإظهار، فاتّبعناه على قدر الطّاقة، فجازاه الله كلّ خير، فقد عرضنا عليه قراءاتنا فغضّ الطرف عن أخطاءنا لأنّنا أصبنا في بعض ما تلوناه ولم نصب في البعض الآخر، فهو بذلك قد تدرّج بنا، وكذلك رأينا سيدي الحاج محمّد القمار ﷺ يتدرّج بنا شيئا فشيئا من الحديث النّبوي إلى القرآن الكريم إلى المعاني إلى كتب الشيخ ﷺ وأرضاه حتّى بلّغ ما استطاع أن يبلّغ وأوقر في صدرونا ما استطاع أن يوقّر، ولكنّه عمره لم يرفع يد التربية عنّا، بل كان يسايرنا قليلا فقليلا، فهذه صفة المربّي وهي أن يربّي بصغار العلم قبل كباره، والمربّي يؤنس الفقراء ولا يوحشهم، ولا يشقّ عليهم ولا يلقي عليهم العلم جملة واحدة أو يعجزهم بل يتدرّج بهم ويرفق بهم ويصبر على ذلك حتّى يصل بهم إلى طريق السّلامة فيكون له أجره ولهم أجرهم، ولذا قال سيّدنا علي ابن أبي طالب في ما معناه: **النّاس ثلاثة؛ عالم ومتعلّم وهمج أتباع كلّ ناعق**، أو قال: **عالم على سبيل النّجاة**، أي عالم ربّاني على سبيل النّجاة بمعنى على طريق النّجاة فينجو وينجّي كلّ من اتّبعه لأنّه يسلك بهم طريق العلم الرّبّاني الحقيقيّ وهو الّذي مقصوده "الله" وليس مقصوده العلم، ولذا كان أكبر حجاب عند النّاس هو علمهم، فعلمهم بالشّيء حجاب لهم، ومن جملة العلوم الفقه وعلوم الظّاهر وهي علوم شريفة عظيمة القدر والمقدار ولكنها غالبا ما تحجب صاحبها عن الحقّ، فيقول له العارف: إنّما يُعبد الله بالشّرع ولا يُعبد الشّرع، والعالم يحجبه علمه عن اتّباع العارف، لأنّ العارف لا يظهر فيه شيء إلاّ أنّه شديد

التتبع لسنّة رسول الله ﷺ شديد الورع شديد التّواضع، وهنا تجد أنّ العالم يحجبه علمه عن العارف، ولو سلّم إليه لأخذه في نَفَس واحد إلى حضرة الله ﷻ، إذًا فقد قال رضي الله عنه: النّاس ثلاثة؛ عالم ربّاني على سبيل النّجاة ومتعلّم وهمج أتباع كلّ ناعق، وهم الذين يقومون مع القائمين ويقعدون مع القاعدين، فيتّبعون القيل والقال من غير علم، وفي هذا الكفاية بخصوص العالم الرباني.

فقير: سيدي ملاحظة لمن لم يحضر مجلسنا الأسبوع الفارط، فقد قلتم: الرباني هو الذي يفاض عليه العلم من الاسم (الربّ) ويقصِد بعلمه وجه الله فيكون مربّيا فما تكلّم إلا وسُمع له ...

البيان: نعم، وهذا حقّ، فالعلم الرباني هو كل ما قُصد به العمل، وأما ما لم يُقصد به العمل فليس بعلم وإنّما هو معلومات، وإذا أردتم الحديث فانظروا في الكتب تجدونه، وأمّا العالم الرّبّاني فإنّما يُفاض عليه من الاسم الرّبّ بالإذن الصّحيح فيُظهر لأحبابه وأصحابه ما لا يستطيع أن يخرجه غيره من العلوم، لأنه ينظر تحت كل حرف وتحت كلّ كلمة علوما أخرى، ولا يقتصر فقط على العلم المشاع بين الناس، وإنما أعطاه الله القوة على أن يستنبط في الكلمة أو في الحديث أو في الآية معاني كثيرة، لأنه يستمدّ ما يُصلح الناس من هذا العلم فلا يتقيّد بقول واحد أو بفهم واحد وإنما يفاض عليه ما يستطيع أن يعِين به أصحابه وتلامذته وأحبابه في كلّ آية أو حديث بما يناسب مقامهم في العلم، فلذلك كلّ من سمعه إلاّ وقال: "سبحان الله"، فتجده قد فهم كلّ شيء بل ويظنّ أنّ كلّ كلامه موجّه إليه بالذّات، والأمر في الحقيقة خلاف ذلك، فإنّما نور الإفاضة من الاسم (الرّبّ) يجعله يخاطِب بلسان واحد كلّ الحاضرين فيفهم كلّ واحد من الحضور ما يناسبه من العلم ومن التّربية ومن العمل ومن التّقوى ما لا يفهمه غيره من الحاضرين، فأصبح العلم هنا خاضعا لإرشاد الخلق إلى الله، فليس العلم علما واحدا وإنّما العلم بحور

زاخرة، فمن أخضعها ووظّفها لتربية الخلق فإنه يسمّى عالما ربّانيا، ولا يستطيع أن يوظّفها إلاّ إذا أعطاه الله ﷻ بالوسائط هذه القدرة على الاستنباط وعلى قراءة ما في قلوب تلاميذه فيجيبهم قبل أن يسألوه، ولذا يقول دائما شيخنا القماري رضي الله عنه: إيّاك أن تظنّ أنّ القرآن أُنزل إلى غيرك وإنما القرآن أنزل إليك وحدك، وإيّاك أن تظنّ أن رسول الله ﷺ بُعث لغيرك وإنما بُعث إليك وحدك، فلعلّ كل هؤلاء الخلق المحيطين بك غير موجودين أصلا وإنما هم ظلّ فقط، وانت الموجود على وجه الحقيقة، وستحاسب، فقد بعث الله لك في عوالم لا يعرفها ولا يستنبطها أحد رسولا اسمه محمّد ﷺ وبعث لك كذلك كتابا اسمه القرآن، فإن لم تتّبعه هلكت، فمن هنا كانت للعالم الرّبّاني هذه القدرة وهذا الفتح الرباني فيخاطب بالقرآن والحديث كلّ حاضر من التّلاميذ بما يناسبه فهما وعملا في ذاته وفي نفسه فأصبح المتعلّمون كثرا ولكنّ كلّ واحد يشرب على حسب ذوقه وفهمه ومقامه وأحواله وعلى حسب ما يستحقّه، فيعطي العالم الرّباني لكل ذي حقّ حقّه في علم ربّه، فهذا هو العالم الرباني والذي يسمّى أيضا المربّي، والمربي حقيقة هو الشيخ رضي الله عنه ولكن له نوّاب يتجلّى فيهم ويفيض عليهم مرتبته، فيصلح به قلوب كل من توجّه إليه بصدق ونية صالحة فكأنّه قد فتحت الحضرة أمامه فيقول ما هنا وما هناك، هذا هو العالم الرباني

فقير: بخصوص متن ابن عاشر، فهو يسمّى أرجوزة، والأرجوزة تكون على بحر الرجز وميزانها: **مُسْتَفْعِلٌ** 6 مرات

ثمّ يقول:

فِـــــي عَقْـــــدِ الأَشْـــــعَرِي وَفِقْـــــهِ مَالِـــــكْ

وَفِـــــي طَرِيقَـــــةِ الجُنَيْـــــدِ السَّـــــالِكْ

فمن هو الأشعري ومن هو الجنيد؟ أبو الحسن الأشعري هو من تابع التابعين، وقد كان معتزليّا وتتلمذ في علم الكلام على يد محمد ابن عبد الوهاب الجبّائي، ثمّ بدا له من الفكر الاعتزالي أنّه على غير الحقّ فرجع عنه ...

فقير: وقد ألّف سيدي الحاج الأحسن البعقيلي في ذلك كتابا سماه (**إيضاح الأدلّة بأنوار الأئمة**)، وقد جعل ﷺ في مقدمة الكتاب ترجمة لكل من أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، ثمّ ذكر ﷺ المسائل العقدية التي يختلفان فيها وتلك التي فيها يتفقان ...

البيان: نعم، تراجمهما موجودتان في كتاب (**إيضاح الأدلة بأنوار الأئمة**)، وقد قدّم فيه سيدي الحاج الأحسن ﷺ الإمامين الجليلين إماما أهل السنّة والجماعة وهما أبو منصور الماتُريدي وأبو الحسن الأشعري وهما تقريبا من تابعي التابعين، وكان بينهما تقارب في الزمان، وهي فترة من الزمان اشتهرت بعظمة التّواصل في العلم بين بلدان شتّى وعلماء شتّى، فكلّ واحد كان له اختصاص في أمر أو كان له رسوخ قدم في علم أكثر من أخيه، فيكمّل بعضهم بعضا، كمثال البرتقالة التي بقيت تنتقل بين مجموعة أشخاص يؤثر كلّ واحد فيهم صاحبه على نفسه[99]، فهنا تظهر عظمة التواصل العلمي حيث يكمّل النّاس بعضهم البعض ويكمّلون كذلك علومَ بعضهم البعض، لأنّ التّواصل تكون فيه المحبة لله وفيه ثواب عظيم، وفيه كذلك التّشجيع، فلولا تشجيعنا لبعضنا البعض لما كان هذا المجلس الآن، والجنيد إمام الصوفية أو فلنقل من أيمة الصوفية ...

فقير: الجنيد السالك أصله من نهاوند ونشأته بالعراق، ولد سنة 215هـ وتوفي 297هـ، كان على مذهب أبي ثور تلميذ الإمام الشافعي وصحب خاله السريّ

[99] قال (ص): **"يدور المعروف على يد مائة رجل آخرهم فيه كأولهم"**. تخريج السيوطي في الجامع الصغير (ابن النجار) عن أنس.

السقطيّ والحارث المحاسبيّ فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله وحجّ إلى مكّة ثلاثين حجّة على رجليه ...

البيان: حجّ إلى مكّة ثلاثين حجّة على رجليه (وكان يأكل بيده اليمنى)[100]، فانظروا إلى هؤلاء الرجال كيف يعظّمون شعائر الله، في حين أنك قد تجد اليوم من يملك ملايين الدنانير ولم يفكّر إلى الآن في الحجّ، والنبي ﷺ يقول: "**حُجُّوا حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لاَ تَحُجُّوا**"[101]، ولماذا نحجّ؟، لشاهد قوله ﷻ: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾[102]، ومع هذا فالنّاس لا يدركون أنّهم هم المنتفعون بحجّهم، فإذا حججت فإنّك ستأخذ الثّواب العظيم وتغفر لك جميع ذنوبك وتشهد وتعاين بقلبك وبعينك كرامةً من الله عليك أن أوصلك إلى بيته العتيق وعرج بك إلى رسول الله ﷺ، ولكنّ النّاس لا يضعون في اعتبارهم قوله ﷺ: "**حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لاَ تَحُجُّوا**"، وكذلك قوله ﷺ: "**مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللهِ وَلَمْ يَحُجَّ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَذَلِكَ اللهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**"[103]، فلابدّ لمن كان له المال وله الاستطاعة أن يدّخر منه جزءا ولو بسيطا، ولابدّ أن يحجّ، وأقلّ ما فيه أن يخصّص صندوقا ويقول: اللّهمّ إنّي نويت الحجّ، ثمّ يضع فيه عشرين دينارا مثلا، ثمّ عشرة دنانير زادت عن حاجته، فيعينه الله على هذا الأمر، فلو توفّي قبل أن يحجّ، نسأل الله أن يطيل عمر الجميع، فإنّه يكون قد اجتهد ونوى أن يحجّ، ولكن أن ينوي أنّه لا يملك مالاً فلا يحجّ حتّى يتوفّر المال لديه بالكليّة فهذا خطر، بل عليه أن يقاطع المشروبات الغازية ويقلّل من شرب الشّاي ويقتصر على الضّروريّ من أمور المعيشة، ويجمع المال الكافي لحجّه،

---

[100] ساق رضي الله عنه هذه القولة في شكل اعتراضي تربية للحاضرين وتأكيدا على اتّباع السنّة النبويّة الشريفة.

[101] أصل الحديث: "**حجّوا قبل أن لا تحجّوا، فكأني أنظر إلى حبشي أصلع أفدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا**"، للحاكم في مستدركه وللبيهقي في السنن وكلاهما عن علي، حديث صحيح.

[102] (27) سورة الحج

[103] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الحج [والعمرة] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الباب 3، باب ما جاء من التغليظ في ترك الحج، الحديث رقم 809، عن علي (ر).

لأنّ الحجّ فرض مرة في العمر، ولذا فلنذكّر بعضنا البعض بأنّ الحجّ فرض من فرائض الإسلام، وعلينا أن لا نجعل لأنفسنا تِعِلَّةً اسمها (لمن استطاع إليه سبيلا)، بل على الإنسان أن يجتهد بأن ينوي الحجّ ويجمع له المال اللازم ويقدّم المطلب تلو الآخر للسّلّط المعنيّة حتّى يوضع اسمه في قائمة من قوائم الحجيج، هذا كلّه بين قوسين، وأمّا الإمام الجنيد فهو باختصار ...

السّارد: ويمكن اختصار طريقة الجنيد في عبارة المجاهدة ومخالفة النفس:

مَـــــنْ لِـــــي بِـــــرَدِّ جِمَـــــاحٍ مِـــــنْ غَوَايَتِهَـــــا

كَمَـــــا يُـــــرَدُّ جِمَـــــاحُ الخَيْـــــلِ بِـــــاللُّجُمِ[104]

استنادا إلى قوله ﷻ ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[105]، ...

البيان: والذين جاهدوا فينا، أي جاهدوا لله أنفسهم وشهواتهم، لنهدينّهم، جعلت هنا للتأكيد، لنهدينّهم ماذا؟، سبلنا، أي طرق السّلام وطرق النجاة وطرق الفرح والسرور في الدنيا وفي الآخرة، ولذا قامت طريقة الجنيد على مخالفة النفس والهوى ومعارضتهما ...

السارد: ويقول عنه الفقيه سيدي الحاج الأحسن البعقيلي ﷺ في رسالته إلى سيدي الحاج علي الأساكي: بين الطريقة التجانية والطريقة الولائية القومية تباين كالحياة والممات فلا يجتمعان إلاّ على خرق العادة وهو أنّ الطريقة القومية كالجنيدية وغيرها مبنية على ملاحظة الأعمال وثوابها ...

[104] بيت من قصيدة (الكواكب الدرية في وصف خير البرية) والمشهورة بالبردة لصاحبها محمد شرف الدين البوصيري
[105] (69) سورة العنكبوت

البيان: انظروا إلى هذا الكلام العالي من الشيخ البعقيلي ﷺ وأرضاه، فطرق القوم كلها مبنية أصالة وابتداء على الأغراض، أي أن صاحبها طالبٌ أن يُفتح له، وأمّا الطريقة التجانية الأصلية فهي قائمة ابتداء وانتهاء على العمل لوجه الله، فلا يتميّز التّجانيون عن سائر النّاس حتّى وإن أظهر الله ولايتهم، ولا يعتقدون في أنفسهم إلاّ كونَهم عبادًا لله لا فرق بينهم وبين سائر خلق الله ...

فقير: سيدي، طلبتم منّا الأسبوع الفارط بعض الأحاديث والأخبار الواردة في فضيلة التّسمّي باسمه ﷺ، يقول ﷺ: (**تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلاَ تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي**)[106]

البيان: فيكون بذلك ﷺ قد أذن لنا في أن نسمّي أحمدا ومحمّدا وغيره من أسماءه ﷺ، وكذلك محمود، وأمّا اسمه الأصلي فهو محمد ﷺ، وأما قوله (ولا تكنوا بكنيتي) فكنيته أبو القاسم ...

فقير: قال ﷺ: "**مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ لَوْ كَانَ فِي بَيْتِهِ مُحَمَّدٌ وَمُحَمَّدَانِ وَثَلاَثَةٌ**"

البيان: كأن تسمّي (محمد علي) و(محمد الصالح) و(محمد الصغير) و(محمد الكبير) و(محمد الأول) و(محمّد الثاني) و(محمّد الهادي)، كما تشاء، لأن اسم (محمد) كله بركة، ومن كان عنده اسم محمد فهو شفاعة له في بيته، ولولا اسم محمد لكُنتَ مع الأشقياء، فهو بركة عظمى، فعندما تناديه: يا ابني يا محمد افعل هذه وافعل تلك، مع التعظيم التام لاسم محمد، فإنك تربح، ولكن في المقابل لا تلعنه أو تسبّه، (**إِذَا سَمَّيْتُمُ الوَلَدَ مُحَمَّدًا فَأَكْرِمُوهُ وَأَوْسِعُوا لَهُ فِي المَجْلِسِ، وَلاَ تُقَبِّحُوا لَهُ وَجْهًا**)[107]، فإمّا أن يكون الأمر على هذا النحو أو لا تسمّيه محمدا، أي إن كان عندك في بيتك محمد فاحترمه لاسمه، واحترمه مع عدم اعتقاد أنّه ولد صغير، فقد تراه صغير السّنّ ولكن قد يكون ذا معرفة أكثر منك، وقد تراه صغير

[106] لأحمد في مسنده، وللبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه، كلهم عن أنس، لأحمد في مسنده وللبخاري ومسلم ولابن ماجه كلهم عن جابر. الجامع الصغير 3299

[107] للخطيب في التاريخ عن علي. الجامع الصغير 706.

السنّ وهو مفتوح عليه، فإيّاك أن تقول أنا الأفضل أو ابني هو الأفضل، فكلّكم من خلقِ الله، والله وحده هو الأعلم بمن هو الأفضل، فمن هنا كان على الإنسان أن يحترم أولاده قطعا فإن كان بينهم أحمد أو محمد فليحترمه زيادة على ذلك، فلا بد من تعظيم الاسم والمسمَّى الذي سُمِّي به، وقوله ﷺ: لا تقبحوا له وجها لأنّ الوجه حرمة المؤمن فلا يضرب المؤمن في وجهه أبدا، وعسى أن يغفر الله لنا جميعا، وكذلك لا تُسمِعْه قبيح القول ...

فقير: قال ﷺ: **(إِذَا سَمَّيْتُمْ مُحَمَّدًا فَلاَ تَضْرِبُوهُ وَلاَ تَحْرِمُوهُ)**[108] ...

البيان: الأحاديث في هذا الشأن كثيرة والمعنى واحد، والمقصود منه أن تكرمه وتعظّمه إكراما وتعظيما لاسمه ﷺ ...

فقير: في بعض الأخبار ذكر القاضي عياض عن شريح ابن يونس أنه قال: إن لله ملائكة سيّاحين يكتبون عبادة كل دار فيها أحمد ومحمد إكراما لمحمد ﷺ

البيان: فإن لم تكن فيها عبادة فأهل ذلك البيت قد أخسروا أنفسهم، فلهم في بيتهم محمّد وليس لهم عبادة، فلو كان لهم عبادة لكتبتها الملائكة وصعدت بها إلى ربها، فيعفو عن كثير، ومع الخصوصيّة، فيعفو ويعفو أكثر وأكثر ...

فقير: **رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ ابْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: أَلاَ لِيَقُمْ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ فَيَدْخُلَ الجَنَّةَ لِكَرَامَةِ اسْمِهِ ﷺ** ...

البيان: وهذا خبر وليس بالحديث، فما هو الفرق بين الحديث والخبر؟ ...

فقير: الحديث يكون من قوله ﷺ وأما الخبر فهو ما أخبر عنه الصحابي وقد يكون إمّا مرفوعا للنبي ﷺ وإما إنشاءً من الصحابي ...

[108] البراز عن أبي رافع. الجامع الصغير 705

البيان: إذًا فما كان مرفوعا للنبي ﷺ فهو ذاك، وأمّا ما لم يتيقن من أنه منسوب له ﷺ فيقال عنه أنه خبر، أي أنه يمكن أن يكون حديثا ويمكن أن يكون غير ذلك ...

فقير: وفي لفظ آخر: **يُنَادَى يَا مُحَمَّدُ، فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ فِي المَوْقِفِ كُلُّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي غَفَرْتُ لِكُلِّ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ عَلَى اسْمِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ** ...

البيان: فانظروا ما أعظم هذا ...

فقير: وروى ابن وهب في جامعه عن مالك قال: **سَمِعْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ: مَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ اسْمُ مُحَمَّدٍ إِلاَّ وَرُزْقُوا** ...

البيان: فاسم محمد بركة ورزق ...

فقير: وفي المدخل عن البصري قال: **إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيُوقِفُ العَبْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدُ فَيَقُولُ: عَبْدِي أَمَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ تَعْصِيَنِي وَاسْمُكَ اسْمُ حَبِيبِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَيَنْكَسُ العَبْدُ رَأْسَهُ حَيَاءً مِنَ اللهِ تَعَالَى وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا جِبْرِيلُ، خُذْ بِيَدِ عَبْدِي وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ فَإِنِّي أَسْتَحِي أَنْ أُعَذِّبَ بِالنَّارِ مَنْ اسْمُهُ اسْمُ حَبِيبِي** ...

البيان: ولذا قال ﷻ في الحديث القدسي الموجود في كتاب الأنوار المحمدية للنبهاني: **إِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أُعَذِّبَ بِنَارِي مَنْ كَانْ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَلاَ مُحَمَّدُ**، وهنا لابدّ أن نقول كلمة وهي أنّ هذا العلم لا دخل للعقل فيه، فإذا أدخلت عقلك حكمت على نفسك بالضّياع والهلاك، فإذا قلنا: قال ﷻ أو قال ﷺ فلا تدخل عقلك في ما تسمع، إذ ليس لك القوة أن تسلط ضوء عقلك

الضعيف الصغير على قول النبي ﷺ، ولله في خلقه شؤون، فإذا لم يكن لك العلم فاسكت، وأما أن تتساءل كيف يكون هذا فإنّك مُدخِل نفسك في ضيق لا تخرج منه حتى تتضرر وتهلك إلى الممات، لماذا؟، لسوء أدبك أو سوء مخبرك، وأما إن كنت صادقا صافيا فإنك ستقول: غاية ما يدرك الإنسان أن المالك وهو الله ﷻ يفعل في ملكه ما يشاء، فإن لم أفهم سلّمت لله ﷻ في ملكه ولا أعترض ولا أنتقد شيئا، وهذا حال من كان يريد السلامة، ولذا قال ﷻ: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾[109]، فقال ﷺ: يا ربّ، لا أشك ولا أسأل، ومن هنا كان إيمان العجائز هو الإيمان المنجي من النّار ومن الخلود فيها في الدنيا وفي الآخرة، فلا يمكنك أن تحدّث من كان لها إيمان العجائز عن مقامات التّوحيد، لأنها ستجيبك: أفي الله شك؟، ومن هنا كان ذلك المثل الشعبي: ميمونة تعرف الله والله يعرف ميمونة، فمن كان لهم مثل هذا الإيمان وهو إيمان العجائز فلهم بالتالي أعلى مقامات المعرفة بالله تعالى، فأكبر علم هو علم التوحيد وهو بسيط: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[110]، وللإشارة فهناك قلقلة في حرف الدال من كلمة (أَحَد) إذا وقفنا عندها، وقد نبّه سيدي الحاج القمار ﷺ إلى عدم المبالغة في قلقلتها حتّى لا نكون قد زدنا حرفا إلى القرآن الكريم، فنتّبع علماء القراءات في قلقلتها ونتّبع شيخنا في عدم المبالغة في تلك القلقلة، فعلم العارفين أقوى من علم العلماء، وكما قلنا: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[111] تغنيك عن جميع العلوم،﴿ **لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ**﴾[112] وهذا لكي يَثبُتَ الإنسان ويعلم أن كلّ ما قد جاءه إنما هو علم صحيح وليس بعلم الأوهام، إذًا فالعقل لا دخل له في الشرع، وإنما الشرع إيمان بالغيب، فيكون

---

[109] (94) سورة يونس
[110] (1) سورة الإخلاص
[111] (1) سورة الإخلاص
[112] {**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**} (94) سورة يونس

الشرع قبل العقل ولا يكون العقل قبل الشرع، فعند جميع أهل السنّة يكون الشرع – وهو النّص– في المقام الأول وبعده العقل

فقير: سيدي، بخصوص آداب الشرب، قال ﷺ: (**إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمُصَّ مَصًّا وَلاَ يَعُبَّ عَبًّا فَإِنَّ الكُبَادَ مِنَ العَبِّ**)[113]، والعبّ هو الشرب نفسا واحدا ...

البيان: ولذلك على الإنسان أن يشرب مصّا لا عبّا، ثمّ يتنفّس خارج الإناء، لأنّ ذلك المصّ فيه راحة للكبد كي لا يتضرر، فالشرب نفسا واحدا فيه ضرر كثير للكبد شأنه شأن الشّرب واقفا، فلا يشرب الإنسان وهو واقف، ولذا نهى ﷺ عن الشرب واقفا أو مضطجعا لما فيه من المضرّة للبدن عامة وللأحشاء خاصة، وربما – لا قدّر الله– يصاب في بعض أعضاءه فيظلّ يتساءل عن سبب ذلك، في حين أنّه كان يمكنه أن يتّبع النبي ﷺ وهو أسهل وأفضل له ...

فقير: بقية الحديث (فإن الكباد (بالضمّ أو بالفتح) من العبّ)، قال المفسرون، ومنهم المناوي في فيض القدير والعزيزي في السراج المنير: إذا كان الكُباد فهو وجع الكبد –عافانا وعافاكم الله– وإذا كان الكَباد فهو الشّدة والضيق – عافانا وعافاكم الله– وقد ذكر كلاهما أنّ العبّ في أثناء شرب الماء يسبّب أمراضا يعسر علاجها ...

البيان: وفي كلتا الحالتين يؤدي إلى مرض الكبد، نسأل الله أن يحفظنا، وهذا هو الطب النبوي، فمن أراد الراحة الفكرية فعليه باتّباع السنّة النبوية الشريفة ...

فقير: كلمة بسيطة في ما يخص أعلام الفقه المالكي، نقول فلان عالم علامة مِسَنٌّ ولا نقول مُسِنٌّ، والمِسنُّ هو كأسنان المشط يصقل النّاس علومهم به ...

[113] لسعيد بن منصور في سننه وابن السنى وأبو نعيم في الطب للبيهقي في شعبه عن ابن أبي حسين مرسلا الجامع الصغير 709.

البيان: إذًا فهو الذي له من السّعة العلميّة ما يجعل النّاس يحتكّون به ليصلحوا من علومهم ويشربوا الشرب الصافي ...

فقير: ولنا هنا شرح لكلمتين من القاموس المحيط: الكلمة الأولى هي فعل ذَيَّلَ من ذيّل يذيّل تذييلا أي جعل له ذيلا أو أطال ذيله، وذيّل الكتاب أو الكلام أي أردفه بكلام تتمة له، وأمّا الكلمة الثانية وهي الجُمَانُ أي اللؤلؤ وهو كذلك حب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ، وهناك من وصفه ﷺ فقال: كان يتحدّر العرق من جبينه كالجمان ...

البيان: وذلك إذا ما تحدّرت نقاط العرق من جبينه ﷺ فإنها تتلألأ بنوره ﷺ كأنها ياقوتة تلو الأخرى، ولا تسأل عن رائحتها ولا عن حسنها ولا عن جمالها، ﷺ، بارك الله فيك، إذًا فالجمان هو اللؤلؤ أو الجوهر أو غالي الجواهر ...

السارد: بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، قال محمد ابن أحمد ميّارة في كتابه الدر الثمين المورد المعين في شرح البيت:

وَحُكْمُنَـــــــا العَقْلِـــــــي قَضـــــــيَّةٌ بِـــــــلاَ

وَقْـــــفٍ عَلَـــــى عَـــــادَةٍ أَوْ وَضْـــــعٍ جَـــــلاَ

اعلم أنّ من أدرك أمراً من الأمور فإن تصوّر معناه فقط ولم يحكم بثبوته لأمرٍ ولا بنفيه عن أمر سُمّي هذا الإدراك في الاصطلاح تصوّراً ...

البيان: وقد قلنا في ما سبق أنّ (الاصطلاح) هو ما تعارف عليه علماء فنّ من فنون العلم، وأمّا لغةً فلها تفسير آخر، فيكون هناك تفسير لغويّ وتفسير

اصطلاحيّ، كالصّوم مثلا؛ فلغةً الصّوم هو الإمساك، وأمّا اصطلاحا أو شرعا فهو الكفّ عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس ...

السّارد: كإدراكنا مثلاً أنّ معنى الحدوثِ الوجودُ بعد العدمِ ...

البيان: شيء كان في العدم ثمّ أوجده الله ﷻ وخلقه وأبرزه في كونه فيسمى ذلك حدوثا، وكلّ ما سوى الله ﷻ يسمّى حادثا، فكلّنا علينا صفة الحدوث إذ كنا عدما فخلقنا الله ﷻ ونرجع إليه، فكلّ شيء هالكٌ إلاّ وجهه ﷻ، ولا نقول هالكٌ بالإدغام أو بالقلب أو بالإخفاء بل نقول هالكٌ بإظهار التنوين لأن بعد التنوين همزة

السّارد: كإدراكنا مثلاً أن معنى الحدوثِ الوجودُ بعد العدمِ من غير أن نثبته لأمرٍ ولا أن ننفيه عنه وإن تُصُوِّر مع ذلك ثبوت ذلك المعنى لأمرٍ أو نفيه عنه فهذا الإدراك يسمى في الاصطلاح حكماً ويسمى تصديقاً كإثباتنا الحدوث مثلاً بعد تصورنا لمعناه للعوالم وهي ما سوى المولى تبارك وتعالى فنقول العوالم حادثة أو نفينا له عمن وجب قدمه وهو مولانا جل وعز فنقول مولانا تعالى ليس بحادثٍ فإثبات أمر لأمرٍ أو نفيه عنه هو المسمى حكماً وهو مراد الناظم بالقضية والله أعلم ...

البيان: إثبات أمر لأمرٍ أو نفيه عنه يسمَّى حكماً، ونحن لن نتغلغل في هذه العلوم من كلام أو لغة، بل نأخذ فائدة نحصّلها ونمرّ مرور الكرام ...

السارد: ثم اعلم أن الحكم ينقسم إلى ثلاثة أقسام شرعي وعادي وعقلي ...

البيان: فأما الحكم الشرعي فهو كقولنا الصلاة فرض، فهذا يسمّى حكما شرعيّا، وهو حكم شرّعه الله ﷻ، وأما الحكم العقلي فهو حكمه مثلا على الشيء إن كان صالحا أو غير صالح، والثّالث هو حكم العادة وسنتحدث فيه إن شاء الله، ولكن ما يهمّنا الآن هو الحكم الشرعي أي ما أتانا عن طريق الشرع وفيه ما قاله

الله ﷻ أو ما قاله رسول الله ﷺ ممّا أتاه عن طريق ملك الوحي فقدّمه لقومه أو لمن بُعث إليهم فيسمّى حكما شرعيا ...

السارد: وذلك أن الثبوت أو النفي اللذين في الحكم إن أسندا إلى الشرع بحيث لا يمكن أن يعلما إلا منه فهو الحكم الشرعي ...

البيان: فالحكم الشرعي لا يمكن أن يُعلم إلاّ عن طريق الشرع ولا يُعلم بالعقل، فلا دخل للعقل في وجود الله ولا في وجود المخلوقات ولا في وجود القرآن جملة وتفصيلا، فمن أراد أن يدخل بعقله في أنّ الله موجود أو غير موجود وهل أنّ القرآن صحيح أو غير صحيح، فما على هذا الإنسان إلاّ أن يحفر قبره بيده ويدفن نفسه بنفسه فيجد مقعده من النار في انتظاره مباشرة، ثم لا يفيده بعد ذلك الندم، وأما الإنسان العاقل المنتسب إلى الضعف فعليه بالرجوع والتّوبة إلى الله فهو أفضل له من هذه التّرّهات ومن هذه الفلسفة الّتي لا جدوى منها، فالله واحد ﷻ موجود بذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، بعث لنا ﷻ النّبيّين والمرسلين فكلامهم حقّ وشريعتهم حقّ ومن اتّبعهم نجا ومن عصاهم أو أدبر عنهم أو أعرض عنهم فقد هلك فهنالك السعيد والشقي وهناك الجنة والنار وهناك الحوض والكوثر وغير ذلك، وأما نحن فلا ندخل في هذا بعقولنا جملة وتفصيلا، فنحن لنا إيمان كإيمان العجائز وهو الإيمان المنجي من الخلود في النار ...

السارد: ولذا نسب إلى الشرع كقولنا في الإثبات الصلوات الخمس واجبة وقولنا في النفي صوم يوم عاشوراء ليس بواجب وإن لم يستند إلى الشرع فإن كفى العقل في إدراكه من غير أن يحتاج إلى تكرر ولا اختبار فهو الحكم العقلي ولما توصل إليه العقل من غير أن يتوقف على شيء آخر نسب إلى العقل وذلك كقولنا في الإثبات (العشرة زوج) وفي النفي (السبعة ليست بزوج) وإن لم يستند النفي أو الإثبات اللذان في الحكم إلى شرع ...

البيان: المراد منه أنه حكم عقلي لا يستند إلى الشرع بل حكم عقلي عادي من الأمور المعلومة أو حكم عادي من قبيل العادة فإذا ألقيت هذه الساعة من يدي فإنها ستسقط أرضا بحكم العادة، فهذا الحكم لا يتغيّر ولا يتبدّل إلاّ عند نبيّ أو وليّ، فعند النبي أو الولي يمكن أن يُخرق ذلك الأمر العادي فإذا ألقيت هذه الساعة فإنها ستصعد عوض أن تنزل أرضا، فيسمّى هذا الأمر عند النبي معجزة وعند الولي كرامة، وأما عادةً فكل ما تتركه من يدك فإنه يسقط أرضا، فهذا هو الحكم العادي المعلوم على سبيل العادة، وأمّا الحكم العقلي فهو ما استند إلى العقل فتعلم بعقلك أن هذا الأمر يكون على هذا النحو ولا يكون على غيره، وأمّا الحكم الشرعي فهو ما استند إلى الشرع، والشرع هو ما أتى عن طريق النّبي المرسل ﷺ، وفيه ما قاله تعالى وما قاله ﷺ، فكان منه القرآن وكان منه الحديث النبوي ومنه كذلك سنة النبي ﷺ حديثا أو إقرارا أو غيره، ومنه كذلك القياس وإجماع الأمة، وفي هذا الكفاية.

بحمد الله.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

﴿ وَلَوْ عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَمِلُوا ﴾

فقير: يقول الشّيخ سيدي أحمد التجاني ﷺ: **"وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يُدْخِلَ كَافَّةَ أَصْحَابِهِ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عِقَابٍ وَلَوْ عَمِلُوا مِنَ الذُّنُوبِ مَا عَمِلُوا، وَبَلَغُوا مِنَ المَعَاصِي مَا بَلَغُوا، إِلاَّ أَنَا وَحْدِي"** فإذا أخذنا بعين الاعتبار في هذا الزمان كيفية اتّقاء الفقير للمحارم، مع عدم الأمان من مكر الله تعالى، فقد يطمئنّ الفقير بكلام شيخه ثمّ قد يجد نفسه بعد ذلك في موقفِ شبهةٍ يريد أن يتّقيَها، أو قد يجد نفسه أمام فتنة من الفتن، فكيف يكون التّوفيق بين الشّرع والمعصية والذكر والعهد؟ ...

البيان: بسم الله، والصّلاة على رسول الله ﷺ، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. مع كلام الشيخ ﷺ لابدّ أن يكون للإنسان فهمٌ قاطعٌ لا يشوبُه أي شكّ ولا تشوبُه شائبة أبدا، ويجب أن لا يخطر في بال الفقير لله على أعتاب الشيخ ﷺ وأرضاه أنّ ما قلناه من كلام الشيخ ﷺ يكون المقصود منه أنّ الفقير –ما عاذ الله– يستطيع أن يتعدّى محارم الله ﷻ وأن يتخطّى معاصيه وأنّه بعد ذلك يكون في أمان وأمن ويدخل الجنّة بسلام وبلا حساب ولا عقاب، فهذا هو الهوس، وهذا ضلال، وهذا غلط فاحش، وهذا لا يكون إلاّ لمن كان يريد أن يغرّر بنفسه، فمن أراد أن يغرّر بنفسه وأن يهلكها وأن يخرج عن الطريق المستقيم، فعليه بهذا الاعتقاد،

وأمّا من كان حقيقةً متّبعًا للشيخ ﷺ وأرضاه ونفعنا به آمين، فإنّه كلّما حاد عن الطريق المستقيم، سواء كان ذلك نيّةً أو عملاً باليد أو باللّسان من كلّ ما يكون فيه اقتحام لمنهيّ أو مكروه، فإنّه –أي الفقير إلى الله ﷻ– يرجع بسرعة بالتّوبة والنّدم والتّضرّع والبكاء والتّذلّل على أعتاب الله ﷻ وفعل الخيرات، حتّى يمحو الله له ذلك ويتجاوز عنه ويسلكه مسلك التّائبين الأبرار، وهناك مسألة أخرى، إن كان ما فعله من المعاصي فيه اعتداء على حقوق المؤمنين عليه فهذا صعب أيضا، إلى أن يتنازل صاحب الحقّ عن حقّه، وكلّ من ظنّ أنّه يجوز له بسبب هذا العهد مع الشيخ ﷺ أن يفعل ما يريد ثمّ يكون بعد ذلك من النّاجين، فهذا كما قلنا مغرِّر بنفسه وهو في ذمّة إبليس وليس في ذمّة الله أبدا، فلا يُعقل أن يكون لأحد حقّ في أن يفعل في ملك الله ما يشاء، ولا يظنّ الإنسان أنّه خارج عمّا رسمه الشّرع قرآنًا وحديثًا وفعلاً من الصحابة ﷺ، وإلاّ فهو فاقد عقل، أي اهتبل واختبل عقله ولم يعد يميّز بين الحقّ والصّواب من جهة وبين الباطل والغلط من جهة ثانية، فقد عاهدنا الشيخ ﷺ على متابعته وعلى التزامنا بأوراده، ومتابعته ﷺ هي بمتابعة الشّريعة، افعل كذا ولا تفعل كذا، **مَا أَمَرْتُكُمْ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**، وهي تشمل جميع الأعمال الزائدة عن الفرائض، وأمّا الفرائض فهي تدخل تحت قوله (اِفعل)، وأما فاتوا منه ما استطعتم فهي النوافل بجميع أنواعها من أعمال البرّ، وقوله (لا تفعل)، ففيه منهيّ عنه صراح وهو الحرام من جميع ما حرّم الله، (ولا تفعل) تدخل فيها كذلك المكروهات ولكنّ العقاب يكون في المحرّمات، فهذا هو الشيخ سيّدي أحمد التّجاني ﷺ، جاء ليحي سنّة رسول الله ﷺ فضمن لنا ما ضمن من أجل ذلك العهد الذي أخذه على رسول الله ﷺ، وهو أنّ كلّ من أحبّه واتّبعه ومات على محبّته وطاعته واتّباعه إلى الممات فإنّه مضمون ضمانة كاملة، ولو فعل من المعاصي ما فعل، أي قبله ثمّ تاب، أي تاب بعد أن أفاق من سكرة غفلته وعرف أنّه لم يكن على طريق الحقّ والصّواب، فحمد الله ﷻ أنّه أفاق من ذلك قبل أن

يموت أو أن يؤخذ بهلاك، فرجع تائبا خائفا مسرعا إلى حضرة الله ﷻ وإلى حضرة طاعته وتمسّك بذلك العهد إلى الممات فإنّه يكون من الصّالحين الأبرار المقبولين بعهد الشيخ ﵁، لأنّ الشيخ ﵁ قد عاهد رسول الله ﷺ على ذلك، ورسول الله ﷺ عاهد الله ﷻ على ذلك، فكان العهد بيننا وبينه أن نأتي بالصلوات الخمس في أوقاتها ولا نأخذ طريقة أخرى على طريقته ونداوم على الأوراد إلى الممات ونحافظ على الشريعة، وهو الشرط الرابع من شروط الدخول في الطريقة التجانية، ونحافظ على الحلال والحرام، ونحافظ كذلك على الجماعة في الصلوات الخمس وفي الوظيفة والهيللة، فنكون بذلك مضمونين، وأمّا من خرج عن هذا فإنّه يكون في خطر عظيم وهو مغرّر بنفسه لأنّ الشيخ ﵁ قد تبرّ من كلّ ما يخالف السّنّة تبرّأ كاملا، فقال ﵁: زنوا كلامي بميزان الشرع فما وافق منه فاعملوا به وما لم يوافق فلا تعملوا به، فهو ﵁ بريء من كل ما يخالف سنّة رسول الله ﷺ، ومحبّة الشيخ ﵁ تقتضي اتّباعه وإلاّ فلا محبّة بينك وبينه، وقال ﵁: كلّ ما قلته لكم واقع لا محالة، يعني الضمانات، إلاّ إذا أمنّا من مكر الله، أو كما قال، كل تلك الضمانات والخيرات وكلّ ما أعطانا الله بسببه أي بسبب عهده مع رسول الله ﷺ والذي هو عهد لنا على أن نتّبعه أنفاس حياتنا وربّما بعد مماتنا أيضا فكلّ ذلك واقع لا محالة إلاّ إذا أمنّا من مكر الله، ولكن لا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون، فمن أمن مكر الله وظنّ أنّ له أن يفعل ما يشاء ثمّ يذكر ورده فيمحو ذلك فهو مغرّر بنفسه وهو على خطر عظيم وعظيم جدّا بمجرّد أن نوى هذه النّيّة وحتّى قبل أن ينتقل إلى الفعل، فليعلم أنّه في خطر عظيم لأنّه بهذه النية قد فتح جميع الأبواب للشياطين كلّها ولم يترك بابا واحدا للنّجاة، نعوذ بالله من ذلك، فنحن في حرب ضدّ العدوّ الذي هو إبليس والنّفس والهوى، وهو بتلك النية يكون قد فتح على نفسه أبواب الهلاك بأتمّها وعلى مصراعيها وذلك بأن ظنّ ولو ظنّا بسيطا أنّ الشيخ ضامن لكلّ من خالف الله ﷻ، فهذا غلط فاحش وهوس وضلال مبين، فليتّق الله أهل الله

وليكونوا على بيّنة من هذا الأمر لأنّ الشيخ ﷺ بريء من كلّ من يفعل هذا، وأمّا من كبا به جواده فليسارع إلى الاستغفار والتذلل وفعل المبرّات، أتبع السيّئة الحسنة تمحها، وخالط النّاس بخلق حسن، أو كما قال ﷺ، وقد ورد في رسائل الشيخ ﷺ أنّ كلّ معصية لها عقوبتان واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة، وهاتان العقوبتان لابدّ أن تحلاّ بمن خالف شرع الله، فهما محقّقتا الوقوع، إلاّ أن يتولّى الله ﷻ يوم القيامة مغفرةَ وعفوَ وسترَ من أراد من خلقه لسبب من الأسباب المعلومة ومن أعظمها مكفّرات الذّنوب، وخاصة إرجاع الحقوق إلى أصحابها مع مكفّرات الذّنوب، وكذلك عقوبة المعصية في الدنيا واقعة لا محالة إلاّ أن يجعل الله سببا في الدِّين ليتجاوز عن فاعل تلك المعصية، ومن أعظمها المحافظة على الصّلاة في الجماعة السنّيّة، فكم يجبر له ﷻ من كسر وكم يأخذ بيده ﷻ عند كبوة أو عند عثرة، وكم يعفو عن كثير ﷻ، وقد ورد هذا عن الشيخ ﷺ في رسائله، كمكفّرات الذّنوب من جميع أنواع الاستغفار ومن أعظمها الصّلاة على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أُغلق، فليحذر المشفق على نفسه من هذا الباب فإنّ هذا الباب هو الذي يميّز الفقير الصادق عن غيره ممّن لا يحمل إلاّ اسم فقير، فالفقير الصادق هو الذي عاهد الله ﷻ ورسوله ﷺ وعاهد الشيخ ﷺ على الإتّباع إلى الممات، فقد باع نفسه وباع وقته وباع عمره وباع أنفاسه بأن وضع قدما في طريق الله ﷻ.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

من الفقه المالكيّ (2)

السّارد: الصّلوات المندوبة ...

البيان: أي المستحبّة ...

السّارد: منها تحيّة المسجد والضّحى والتّراويح في رمضان وما قبل الوتر ...

البيان: ما قبل الوتر هو الشّفع، وقد كان رسول الله ﷺ يصلّي من ركعتين إلى عشر، وتقريبا قد كان سيدي الحاج محمّد القمار رضي الله عنه مواظبا على عشر ركعات ...

السّارد: وما قبل الظّهر وما قبل العصر ...

البيان: ركعتان ركعتان أو أربعًا أربعا ...

السّارد: وما بعد الظّهر وما بعد المغرب، وتحيّة المسجد ليس المراد بها الركعتان لذاتهما بل القصد منها تمييز المسجد من سائر البيوت ...

البيان: أي إن كنت في المنزل أو في السّوق أو في أيّ مكان آخر ثمّ دخلت المسجد فإنّك تصلّي ركعتين لتميّز بهما بيت الله عن غيره من البيوت وذلك من تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى وليست الركعتان مرادتان لذاتهما ...

السّارد: وتحيّة المسجد ليس المراد بها الركعتان لذاتهما بل القصد منها تمييز المسجد من سائر البيوت ولذلك لو صلّى فريضة لاكتفى بها، وقال مالك: ليس ختم القرآن سنّة في رمضان ...

البيان: المراد منه: "ليس ختم القرآن سنّة في صلاة التّراويح" والله أعلم ...

السّارد: قال ربيعة: لو أَمَّهم رجل بسورة حتّى ينقضي الشّهر لأجزأ ...

البيان: وهذه مذكورة في كتاب (**الدّر الثّمين والمورد المعين**) شرح متن ابن عاشر الأندلسي لمحمّد ميّارة ...

السّارد: ومن ترتّب عليه سجود قبليّ فأخّره حتّى سلّم فلا شيء عليه ...

البيان: أي من ترتّب عليه سجود قبليّ لتركه سنّةً أو سننًا، ثمّ بعد جلوسه للتّشهّد أفشى السّلام ناسيا ذلك السجود القبليّ، فيمكنه أن يأتي بذلك السّجود القبليّ بعد السّلام ولا شيء عليه ...

السّارد: وكذا لو قدّم البعديّ فسجد قبل السلام فلا يعيده بعده ولا شيء عليه

البيان: وهذا الحكم ينطبق على السّاهي والعامد على حدّ السّواء، لماذا؟، وهذا ما يجب أن نعرفه كلّنا، فقد قال الشّيخ ﷺ في ما معناه: في المذاهب الفقهيّة يكون السّجود على ثلاث أحوال، فهناك من يعتمد السّجود القبليّ دائما مع كلّ زيادة أو نقصان في سنن الصّلاة لأنّ الفرض لا يجبر بسجود السّهو، فالفرض يأتى به بقرب أي في الحين أو تعاد الصّلاة بأكملها إن لم يجبر وتذكّر سهوه ببعد أي بعد حين من الزّمن لأنّه حينها تكون قد بطلت صلاته فيعيدها أبدا، وأمّا في السنن فإن نقّص المصلّي منها أقوالا أو أفعالا في صلاته فإنّه يسجد سجود السّهو ومن

هنا كان قول من قال بأنّ سجود السهو يكون دائما قبليّا أي قبل ردّ السّلام والخروج من الصّلاة، وهو قول صحيح، وهناك من قال بأنّ السّجود لسهو في الصّلاة لا يكون إلاّ بعد الخروج والانتهاء من الصّلاة، وأمّا الإمام مالك ابن أنس فقد وفّق بين القولين واعتمد السجود القبليّ لسهو النّقصان وحده أو لتغليب سهو النّقصان على سهو الزّيادة إن اجتمعا واعتمد البعديّ لسهو الزّيادة، فمن هنا قال سيدي الحاج القمار ﷺ أنّ من جعل سجود السّهو القبليَّ بعديًّا أو جعل البعديَّ قبليًّا إمّا ساهيا أو عامدا مع علمه بهذه المسألة فلا شيء عليه ...

السّارد: من قرأ سورة قبل الفاتحة ثمّ تذكّر وأعاد فلا سجود عليه ...

فقير: سيدي، وما حكم من أخطأ في قراءة السّورة بعد الفاتحة كأن قرأ آية من سورة ثم انتقل إلى آية أخرى من سورة أخرى ...

البيان: لا شيء عليه، ولو قرأ آية من سورة وآيتين من سورة أخرى فيكون على كلّ حال قد قرأ شيئا من القرآن بعد الفاتحة، إلاّ أنّ العلماء يركّزون على حفظة كتاب الله وخاصة في مسألة التّنكيس عند قراءة السّور، وأمّا من لم يكن له الكثير من العلم ولا يحفظ إلاّ ما تيسّر من القرآن فيكفيه أن يقرأ بشيء منه فيجزؤه ذلك عن السّورة ...

فقير: سيدي، وما يفعل مأموم في صلاة رباعيّة سريّة أتمّ قراءة السّورة ولكنّ الإمام مازال يقرأ في سرّه؟ ...

البيان: هذا المأموم ليس له إلاّ السّكوت عند انتهاءه من قراءة السّورة وبالتّالي عليه استحضار الحضرة الإلهيّة لأنّه في حضرة الصّلاة أو عليه بتلاوة القرآن، وليس هنالك غير هذين الخيارين، فلا يقرأ أثناءه صلاة الفاتح أو غيرها، إمّا قرآنا أو سكوتا مع استحضار الحضرة الإلهيّة، وكذلك من أراد قراءة صلاة الفاتح لما

أغلق في سجوده فعليه أن لا يسمع المصلّين معه لئلاّ يشوّش عليهم فكرهم، وذلك لأنّ صلاة الفاتح لما أغلق خاصّة ولأنّ إسماعك المصلّين قراءتك لهذه الصّلاة الخّاصة في أثناء سجودك يعتبر من الغلوّ، وكذلك لأنّ من يفعل هذا هو ممّن ليس لهم النّضج الكافي للتّحكّم والسيطرة على أفعالهم وأقوالهم، وليس في هذا شيء من الحريّة، فإن شئت أن تتصرّف بحرّية فافعل ذلك في منزلك حين تختلي بنفسك ولا تجعله في بيوت الله سواء المسجد أو الزّاوية لأنّ النّاس تقيس عليك أفعالك لانتمائك للطريقة التّجانيّة، وقد قال سيدي الحاج محمّد القمار ﷺ بأنّ الشيخ ﷺ نهى أقواما عن قراءة صلاة الفاتح لما أغلق في السّجود وأمر بذلك أقواما آخرين، فهي ليست من الفرائض اللاّزمة في سجودك بل اقرأها تبرّكا أو إتباعا لعمل الشيخ ﷺ واجعل ذلك بصوت خافت بينك وبين نفسك، فحتّى الدّعاء في السّجود لا يكون بصوت عالٍ لما في ذلك من التّشويش على المصلّين ولأنّ الصّلاة إنّما هي صلة بينك وبين ربّك ...

السّارد: من قرأ سورة في الرّكعة الثّالثة أو الرّابعة أو في كليهما فلا شيء عليه وقال الشيخ محمّد ميّارة: ولو سجد لبطلت صلاته ...

البيان: من سجد لقراءة سورة في الرّكعة الثّالثة أو الرّابعة فقد أبطل صلاته مثله مثل من سجد لترك دعاء القنوت لأنّه مندوب لا يُسجد لتركه، وقد كان سيدي الحاج القمار ﷺ يقول أنّ هناك شخصا سئل عمّن نسي القنوت في صلاة الصّبح فأجاب السائل: "قد أراحك الله من الكُذُوب"، وذلك لأنّ دعاء القنوت كالآتي:

"اللّهمّ إنّا نستغفرك ونستهديك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكّل عليك ونثني عليك الخير كلّه نشكرك ولا نكفرك ونخنع لك ونخلع ونترك من يكفرك. اللّهمّ إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو

رحمتك ونخشى عذابك الجدّ، إنّ عذابك بالكافرين ملحق." وهو ﷺ في الحقيقة حينما قال: "قد أراحك الله من الكُذُوب"، فذاك ليس كلامه بل من الكلام المتداول بين النّاس ولكنّ سيدي الحاج القمار حينما يقولها فإنّه يقولها بتربية، وما المقصود من ذلك؟، أن أخلص دينك، أي يا أيّها الإنسان انتبه إلى ما تقوله لمولاك ﷻ وأخلص دينك واعمل بما تقول وإلاّ فإنّك –عافاكم الله– تكذب على مولاك ﷻ، فانظر إلى هذه التّربية العالية من الشّيخ سيدي الحاج القمار ﷺ، إذ ينسب القول بالكذب إلى غيره بل ويرويها لك على شكل مزحة أو دعابة وهو في الحقيقة لا يمازحك بل يربّيك ويربّيني ويربّي النّاس، ولذا وجب أن تتعقّل ما تقول: اللّهمّ إنّا نستغفرك دائما وإلى الممات، ونستهديك أي نطلب الهداية منك لا من غيرك ولا نعوّل على أنفسنا بل نعوّل عليك يا ربّ، ونتوب إليك ممّا نعمل من السيّئات في كلّ يوم، نؤمن بك ونتوكّل عليك وأين التّوكّل على الله حقّ توكّله حتى تصل إلى اليقين، وإلى آخر الدّعاء، وقد استحضرنا هذا من جملة لطائف التّربية عنده ﷺ، ومن جملة ذلك من كبّر تكبيرة الإحرام ودخل بها في صلاته فإنّه إن سها في تلك الصلاة فعليه بالتّرقيع وسجود السّهو ولا يستأنفها لأنّ ترقيع الصّلاة فيه ثواب أكبر من الإعادة، ومن جملة السّهو كذلك أن يسرّ بالفاتحة في موضع جهر أو يجهر بها في موضع سرّ وقد ينتبه المصلّي إلى ذلك في وسط الفاتحة فيحاول أن يتداركه، وهنا نصلّ إلى ما كان يسمّيها سيدي الحاج محمّد القمار ﷺ "عتّوقة الصّلاة" وهي في الفاتحة، وهي قوله ﷻ: ملك يوم الدّين، فمن تجاوزها وقرأ الآية الّتي تليها ثمّ انتبه إلى سهوه في كيفيّة القراءة من سرّ أو جهر فقد فات أوان التّدارك بالنّسبة له وعليه سجود إمّا قبليّ إن أبدل الجهر سرّا أو بعديّ إن جعل السرّ جهرا، وأمّا من تدارك سهوه في كيفيّة القراءة قبل "عتّوقة الصّلاة" وهي قوله ﷻ: ملك يوم الدّين، فأصلح الكيفيّة فجعل السرّ سرّا أو الجهر جهرا فلا شيء عليه، والأصل في الفقه المراجعة، ولأنّنا إن لم نراجعه مع بعضنا البعض فإنّه حتما ينفلت

منّا ولو حفظنا ما حفظنا، وبالمراجعة والتّذاكر مع بعضنا فإنّنا كفقراء نكون كلّ يوم في زيادة، وبالسّؤال تطرح مسائل في الفقه ما كانت لتطرح لولاه، ونسأل الله أن يجازيكم بالخير وبارك الله فيكم.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

قَوَاعِدُ فُنُونِ العِلْمِ

السّارد: بسم الله الرّحمان الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما

يقول سيدي الحاج علي حرازم ﷺ في كتاب جواهر المعاني:

اعلم أيّها الأخ أنّه لابدّ لكلّ فنّ من فنون العلم من قواعد يضبط بها فيفزع في مشكلات أحكام كلّ فنّ وشوارده وغرائبه ونوادره إلى قواعده ...

البيان: من قرأ كتاب (**رِمَاحُ حِزْبِ الرَّحِـــيمِ عَلَى نُحُورِ حِزْبِ الرَّجِيمِ**) ففهمه وفهم مسائله فإنّه يعدّ من أكابر العلماء، فكتاب الرّماح من أعظم ما كتب في العلوم الإسلاميّة وفي الطّريقة التّجانيّة، فأمره أعجب من العجب، فالاستشهادات التي اعتمدها سيدي عمر الفوتي ﷺ تعدّ عملا عظيما جدّا جدّا لدين الإسلام، فلا تفوّتوا فيه واقرؤوه، فإذا رجعت مثلا إلى ما اعتمده ﷺ من الأحاديث النبويّة الشّريفة في مسألة نقر الصّلاة فإنّك ستجد منها ما يحيّر أكابر العلماء، وهذا عمل جبّار، وبهذه الطّريقة أحيا أولئك النّاس الدّين من جديد، فيستخرج لك الحديث النّبويّ ويضعك أمام الفهم الصّحيح للمسألة لكي تنتفع بها، فلابدّ للواحد منّا أن يقرأ الرّماح، إذ يكفي هذا الكتاب شرفا أنّه جمع مع جواهر المعاني وهذا ليس بالأمر الهيّن ...

السّارد: فكما أنّ للفقه قواعد وللإعراب قواعد يبنى عليها أحكامها ويرجع إليها في ضبط قوانينه فقوانين كلّ منهما كذلك لأهل الكشف والتّحقيق ولعلم الأذواق ضوابط وقواعد ينبني عليها صحيح أمرهم

البيان: كلّ علم له ضوابطه، وكما قرأنا اليوم في الحديث النّبويّ الشّريف: إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم، فالعلم دين علمه من علمه وجهله من جهله، والدّين علم له ضوابطه وله فقهه وله إعرابه وله ظاهره وله باطنه وله ناسخه وله منسوخه إلى غير ذلك، فعلى الإنسان أن يتعلّم هذا الدّين من أربابه، فإن تعلّمه ورسخ فيه فله أن يتغلغل في العلوم إذا أراد ذلك، وأمّا قبل هذا فلا، أي لا يتغلغل في العلم إلاّ إذا شَهد له من أهل العلم شيوخُه وقيل له: أنت مجاز ولك أن تتقدّم في العلوم أكثر وأكثر، وإلاّ فعليه بالتّعلّم قبل التّكلّم، أي عليه أن يتعلّم قبل أن يتكلّم بقلبه فضلا عن أن يتكلّم بلسانه، ثمّ بعد ذلك إن استطاع أن ينتج شيئا فليتكلّم أو فعليه بالصّمت، وكما قلنا مرارا: لا يكفي العالم أن يعترف بنفسه بل يجب أن يوجد من يعترف به من أهل العلم والصّلاح والورع وأهل الحلّ والرّبط في هذا الباب فيزكّونه فتكون تلك إجازته وأمّا غير هذا فعليه أن لا يتكلّم، وإذا تكلّم فماذا سيقول؟، ليس لنا إلاّ قول: اعبد ربّك، وهذا أعظم القول، ومن جملة الحديث عن العلم، فلا يجوز في مجلس عالم أن نُنزِل عليه أسئلة كالغيث النّافع، منها ما هو في الفقه ومنها ما هو في الأصول ومنها ما هو في التّصوّف ومنها ما هو في التّوحيد، فهل يظنّون أنّ العالِم قد صار حاسوبا لتجميع المعلومات، وهذا لا يكون، فالأصل فيه أن يُطرح سؤال أو سؤالان فيكون الجميع في نشاط، أو فليقرؤوا ما تيسّر من بعض الكتب فيكون فيه إظهار ما ينبو من الاصطلاحات والكلمات، وفي الحقيقة ما تحصل به الفائدة هو الفهم العميق لتلك المعاني، وفهم تلك المعاني هو من أصعب الأمور، فذلك هو العلم الصحيح كما تلقّيناه من أشياخنا ...

السّارد: ولعلم الأذواق ضوابط وقواعد ينبني عليها صحيح أمرهم ويعرف بها صحيحه من فاسده ويرجع إليها عند ورود المشكلات والشّوارد والنّوادر ولضبط أحكامه ومقاصده وها أنا أوطّئ لك صدر هذا الكتاب قاعدة جامعة لأصول التّحقيق دافعة عن مراجعها كلّ إشكال وتوهّم وخيال

البيان: أوطئ لك أو أوطّئ لك بمعنى أسهّله لك صدر هذا الكتاب أي أسهّل لك لبّه وقلبه وصدارته حتى تفهم كما ينبغي ما هو هذا الكتاب

السّارد: دافعة عن مراجعها كلّ إشكال وتوهّم وخيال فاسد وتكون لما سيأتي أساسا ومهادا وأصلا في معرفة قواعد هذا الفنّ في هذا الكتاب وغيره وعمادا فأقول وبالله أستعين. قاعدة: اعلم أنّ القاعدة عند أيمّة وعلماء الكشف والتّحقيق أنّ معقوليّة النّسب لا تتبدّل ...

البيان: المقصود بعلماء الكشف والتّحقيق أنّهم أناس لهم كشف صحيح وهم متحقّقون من علمهم ولهم قاعدة أو قواعد ...

السّارد: وأنّ الحقائق لا تنقلب فإذا كان النّعت والوصف ذاتيّا فلا ينقلب إلى غير ذلك وأنّ الواجب لذاته لا ينقلب جائزا والجائز لا ينقلب واجبا والمستحيل لا جائزا ولا واجبا وذلك كالوجود مثلا فإنّه لما كان ذاتيّا للحقّ تعالى وجب وجوده فقيل فيه موجود وواجب وجوده لأنّ وجوده بذاته لذاته فهو له ذاتيّ فكان واجبا ولما كان العدم للممكنات ذاتيّا لم ينقلب إلى غير ذلك الوصف الذي هو العدم فالعدم لها ذاتيّ والوجود عرض لها في حيطة الجواز يجوز طروّه على الممكن وعدم طروّه وكذلك البطون لما كان لذات الحقّ ذاتيّا ...

البيان: يجوز طروّه على الممكن كما يجوز أن لا يطرأ، كلام صعب الإدراك بعض الشيء ولكنّه جُعل لتفسير القاعدة وفهمها، فلابدّ على الإنسان أن يقرأ

الرّماح ويقرأ الجواهر ليتمّم ما عنده من العلم فيطّلع على بعض ما هو موجود في الكتاب وأمّا من لم يفهمه الآن فقد يفهمه قليلا فقليلا وليسمعه ولو مرّة، ولكن إحقاقا للحقّ فهو كلام صعب الإدراك ...

السّارد: وكذلك البطون لما كان لذات الحقّ ذاتيّا لم ينقلب إلى غير ذلك وإلى البطون الذّاتيّ لذات الحقّ تعالى وتقدّس الإشارة بقوله تعالى في الحديث القدسيّ: كنت كنزا مخفيّا، وتسميته تعالى بالاسم الباطن فمقتضى حقيقة هذه النسبة التي هي البطون والخفاء والغيب المطلق الذّاتيّ أن لا يقع فيها تجلّ أبدا لا في الدّنيا ولا في الآخرة ...

البيان: الشيء الواجب كوجود الحقّ ﷻ لا يتغيّر فالواجب لا يقبل التغيير بأيّ حال

فَوَاجِـــبٌ لاَ يَقْبَـــلُ النَّفْـــيَ بِحَـــالْ وَمَـــا أبَـــى الثُّبُـــوتَ عَقْـــلاً المُحَـــالْ

ومثال ذلك وجود الحقّ ﷻ وبطونه وكمرتبة العمى الرّبّانيّ فلا يتغيّر ولا يتجلّى لغيره في غيره أبدا، وإلاّ انقلبت الحقائق، فمن هذا كان ﷻ له مرتبة خاصّة به وهي البطون الكامل والعمى الرّبّانيّ فلا يعرفه أحد لا في الدّنيا ولا في الآخرة ولا يظهر فإنّه يكون بنفسه لنفسه فلا تشمّ فيها رائحة ولا يُتعقّل فيها تعقّل أبدا الآبدين، ومن هنا كان الله ﷻ لا يُعرف في ذاته ولكنّه يعرف في مراتب أخرى كتنزّله إلى حضرة الواحديّة والأحديّة في حضرة رسول الله ﷺ وحضرة الرّبوبيّة بالنّسبة للمخلوقات العامّة، وأمّا ما كان واجبا وجوبا لا يتغيّر أبدا فإنّه يبقى كما هو، وكلّ هذا موجود في متن ابن عاشر في كتاب أمّ القواعد وما انطوت عليه من العقائد

يَجِـــــبُ لله الوُجُـــــودُ وَالقَـــــدَمْ كَـــذَا البَقَـــاءُ وَالغِنَـــى المُطْلَـــقُ عَـــمْ

وَخُلْفُـــــهُ لِخَلْقِـــــهِ بِـــــلاَ مِثَـــــالْ وَوَحْـــدَةُ الـــذَّاتِ وَوَصْـــفٍ وَالفِعَـــالْ

فلماذا يجعلون من التّصوّف علما جديدا وهو ليس بالجديد؟، إذ ليس فيه إلاّ علم الاعتقادات والتّوحيد وفيه الفقه وهو علم العبادات والمعاملات وفيه التّصوّف وهو علم تزكية النّفوس، وهو:

يَصْـــحَبُ شَـــيْخًا عَـــارِفَ المَسَـــالِكْ يَقِيـــــهِ فِـــــي طَرِيقِـــــهِ المَهَالِـــــكْ

يُـــــــــــــــــــذْكِرُهُ اللهَ إذَا رَآهُ وَيُوصِـــــلُ العَبْـــــدَ إلَـــــى مَـــــوْلاَهُ

فهو ثمرة لإتقان الاعتقادات والمعاملات وإتقان التّوحيد، وثمرة ذلك صفاء النّفوس والواردات الرّبّانيّة الرحمانيّة من أنوار الإيمان فتتجلّى فيه حتّى يصبح في حال هو أعلى ما في مقام الإحسان وهو أن تعبد الله كأنّك تراه، وهذا موجود في كلّ مسلم، فيجوز أن يدخل فيه كل مسلم إلاّ الإذن الخاصّ الذي هو إذن الطريقة التّجانيّة فقط وبشيخ مربٍّ ...

السّارد: أن لا يقع فيها تجلّ أبدا لا في الدّنيا ولا في الآخرة إذ التّجلّي هو عبارة عن ظهور الحقّ ﷻ بأيّ تجلّ وغاية علم العلماء بالله أن يعلموا ما ظهر للعلم وأدركه في أيّ وجه من وجوه الإدراك فخارج عن حقيقة مقتضى نسبة البطون وانّ

غاية ما يتعلّق به العلم ويدركه حصول العلم بوجود الباري جلّ وعلا فيحصل للعالم العلم بأنّه موجود وواجب وجوده وأنّه ليس كمثله شيء لا الإدراك بذاته

البيان: لا الإدراك بذاته، فلا تدرك ذاته لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يتأتّى ذلك لأحد مهما كان، ليس كمثله شيء، تفكّروا في خلق الله ولا تفكّروا في ذاته، فذات الله غيب أبد الآبدين لا يحيط بها أحد مهما كان، وإنّما يُتعقّل ﷻ في مراتب أخرى، فيفهم الإنسان معنى الرّبوبيّة أو معنى الألوهيّة وكيف يُعبد الله وما هو الاسم الله والاسم الرّبّ والاسم الرحمان والاسم الرحيم، والأسماء والصفات الإلهيّة بعد التعلّق، فهذا كلّه ممّا يفهمه الإنسان، فينظر إلى جمال الله ﷻ وجلاله وصنعه في خلقه، وأمّا ذات الله ﷻ فلا تدرك، فما تعلّق الخلق كلّهم إلاّ بمرتبة الألوهيّة ولا يتعلّقون بشيء آخر، فكلّ من تعلّق فإنّما هو يتعلّق بمرتبة الألوهيّة "الله"، وكلّ من يصلّي فهو يصلّي لـ"الله"، فهم متعلّقون بـ"الله"، أي متعلّقون بالألوهيّة التي مرتبتها هي كمال الاستغناء عن غيرها وكمال استحقاق واستمداد كلّ ما سواها منها، فليس ثمّة إلاّ الألوهيّة التي يتوجّه إليها الجميع وهي "الله"، وأمّا ذات الحقّ فباطن لا يدركه أحد وسيبقى كما هو لا يُدرك وذلك مهما تجلّى للمتجلّيين وللعارفين والأنبياء ولرسول الله ﷺ، فلا يدرك ذات الحقّ على الإحاطة أحد أبدا، فهذا مستحيل، وإلاّ لانقلبت الحقائق، فلو أُدرك من بطونه ولو شيء يسير لما عاد باطنا بل سيصبح ظاهرا، فإنّما المقصود بـ"باطن" أن يكون كامل البطون وأن يكون دائم البطون فيستحيل أن يتبدّل أو يتغيّر،

السّارد: وأنّه ليس كمثله شيء لا الإدراك بذاته كيف وعلم الحادث حادث فغاية علم العبد أن يعلم أنّ الباري جلّ وعلا موجود وواجب وجوده ووجوده له ذاتيّ

البيان: هذا ما نعتقده، وهو أنّ الحقّ ﷻ موجود ووجوده ذاتيّ قائم بنفسه ﷻ، قل هو الله أحد، ليس كمثله شيء، لا تدركه الأبصار، فنعتقد هذا ولا دخل لنا في غيره، وهذا هو الاعتقاد السّنّيّ الذي ربّانا عليه مشائخنا، فلا تشوّش على نفسك، فلو دقّقت جيّدا لسألت نفسك: من أكون؟، ولوجدت أنّك ما أنت إلاّ تجلٍّ من تجلّيات الله ﷻ، فأنت غير موجود، وعقلك كذلك غير موجود بل هو حادث، فلو أردنا أن نرتاح فلْنعلم أنّ الله موجود ولنؤمن به ولنؤمن بما أنزل على رسوله ﷺ ولنجتهد في طاعته واجتناب معصيته ولنتب كلّما أذنبنا فنستغفر ولنمسك الحبل بين الرّجاء والخوف ولنعظّم ما عظّمه الله ولنحبّ ما يحبّه ولنكره ما يكرّهه، وهذا يكون إلى الممات، ثمّ بعد ذلك يكون كلّ جنّته، وهي جنّة ربّ العالمين ﷻ، وأعظم الجنان هي جنان المعرفة بالله تعالى، فيصبح الإنسان وهو في الدّنيا وكأنّه في لجّة جنان المعارف فيجد في ذلك لذّة لا توصف، لأنّها لذّة القرب المعنويّ من الله ﷻ وكذلك لذّة القرب من المشائخ، وذلك إذا ما رقّ حجاب العبد فتجده كلّما تحرّك فكأنّه يراهم يتحرّكون ويمشون، ثمّ تهيج بحور محبّته وأنسه وشوقه، ولولا أنّ الله ﷻ ممسك بقلب الواحد من أولئك العارفين لمات كمدا وحسرة على عدم القرب من الشيخ رضي الله عنه أو من جميع مشائخنا، فالمحبّة مقام صعب جدّا، ومحبّة الله ﷻ لخلقه أصعب من ذلك، فلو تجلّى مقدار شعرة واحدة لما قدرت أن تجلس مكانك، ولذا كان كلّ هذا غير ظاهر إلاّ في الآخرة أو عند النّزع والموت، والمشائخ لا يفيضون مثل هذه الأشياء على النّاس لضعف من يستطيع أن يتحمّل قوّة محبّة المشائخ وقوّة أنوار رسول الله ﷺ وخاصّة مع وجودنا في الدّنيا ومشاكلها كالبيت والعمل وغيره، إلاّ لمن أقدره الله ﷻ على ذلك، فيكون فانيا كامل الفناء لم يعد يرى الخلق، وكلّما تحرّك إلاّ ورأى مشائخه يتحرّكون معه، وهذا يدلّ على قوّة محبّة الله لنا، فلو أفاض علينا مقدار شعرة واحدة من مائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف جزء من محبّته ﷻ لانفطرت قلوبنا ولرجعنا إلى العدم، وذلك لأنّك لا تتصوّر كيف

أنّ الله ﷻ يحبّك، وينتظر قدومك، ويتحنّن عليك، ولا يريدك أن تخطئ، ويطيل عمرك فلا يريدك أن تموت، أنت لا تحبّ الموت وهو لا يريد إساءتك إذ لابدّ لك من الموت، وفي مثل هذه المواقف لا مجال لظهور الجلال، فكأنّه ليس هناك جلال أصلا ولا يوجد إلاّ الجمال، وفي بعض المواقف الأخرى لا يظهر الجمال، بل يظهر الجلال مع الخوف والبطش، ويحذّركم الله نفسه، حينها تكون كعصفور أو فلنقل كمثل بعوضة، فتعرف حقيقة قدْرك مع ربّك، وهكذا نحن بين الرّجاء والخوف، وهذا ما يسمّى المعرفة بالله تعالى، وهذا ما كان مشائخنا فيه غارقين إلى الممات، وهي لمن ذاق منها، فيتمّ عمره إلى الممات على هذا النّحو ...

السّارد: ووجوده له ذاتيّ وإنّه ليس كمثله شيء وإنّه لا يعلم ما هو إلاّ هو ولا يعلم قدره غيره لقواه تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[114]، وأيضا فالعالم بالله إنّما أدرك علمه بواسطة العلم وعلمه قائم به فما أدرك إذا إلاّ العلم ...

البيان: أنظروا كلام الشيخ ﵁، أنت لم تدرك الله ﷻ وإنّما أدركت العلم وهو الواسطة بينك وبين ربّك، فأصبحت تعرف من الله ما كتب لك أن تعرف، لكن هل أدركت اللهَ ذاتَه؟، حاشى لله، فأنت ما أدركت إلاّ علما ومعاني وفهوما بعقلك الحادث الذي يأتي عليه زمان يدفن فيه في التّراب، وبالتّالي فلم تدرك ماهية الحقّ ﷻ وإنّما أدركت علما قرّبك الله به إليه ﷻ فهما وذوقا وقربا معنويّا لجنان معنويّة، وأمّا الحقّ ﷻ في ذاته فمن أين لك أن تقربه ...

[114] (67) سورة الزمر

السّارد: ولا يلزم من إدراك العلم إدراك المعلوم، كيف وكلّ ما دخل تحت الحصر فهو مبتدع مخلوق، ومن الشّائع المشهور المجمع عليه عند المحقّقين قاطبة أنّ الصّفات والنعوت تابعة للموصوف المنعوت بها

البيان: فكذلك صفات وأسماء الله ﷻ فهي تابعة للحقّ ذاته كالرّحيم والودود والكريم، فنحن لم ندرك صفات الحقّ بل أدركنا علما بمعنى الصّفة فقط

السّارد: وإنّ إضافة كلّ صفة إلى موصوفها إنّما تكون بحسب الموصوف وبحسب قبول ذاته إضافة تلك الصّفة إليها، ولما كان الحقّ ﷻ يتعالى عن ان يدرك كنه حقيقته كان إضافة ما تصحّ نسبته إليه من النّعوت والصّفات لا تكون على نحو نسبتها إلى غيره لأنّ ما سواه ممكن وكلّ ممكن فمنسحب عليه حكم الإمكان ولوازمه كالافتقار والقيد والنّقص وهو ﷻ من حيث حقيقته مغاير لكلّ الممكنات وليس كمثله شيء

البيـــان: وَخُلْفُـــهُ لِخَلْقِـــهِ بِـــلاَ مِثَـــالْ وَوَحْـــدَةُ الـــذَّاتِ وَوَصْـــفٍ وَالفِعَـــالْ

إذًا فكلّ الفهوم والمعاني والأوصاف والصّفات ليست إلاّ علما وليست هي عين الحقّ ﷻ، فهي بعيدة كلّ البعد لكنّها تقرّب المعنى، فهل أدركتُ الحقّ ﷻ؟، الجواب: لم أدرك الحقّ ﷻ.

الحمد لله.